مواطن الشعوب الاسلامية

في أفريقيا

١١

السودان

محمود شاكر

المكتب الاسلامي

مواطن الشعوب الإسلامية
في أفريقيا
١١

تأليف
محمود شاكر

المكتب الإسلامي

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده الذين اصطفى والصلاة على آخر الأنبياء سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه وبعد :

فلم تكن كتابة اعداد هذه السلسلة تبعا لمجرى الأحداث التاريخية وتتابعها أو قيام الحضارات وتعاقبها . فلو كان ذلك لوجبت الكتابة عن مصر قبل السودان حسب دخول الإسلام إلى هذه المناطق وانتشاره فيها ، وإنما كانت الكتابة حسب الأحداث المستجدة التي تقع في بعض الأمصار ، فنضطر للتعريف بهذا المصر الذي وقع فيه الحادث أو قامت فيه المشكلة أولاً ثم نتكلم عن السياسة التي تكمن وراء هذه المشكلة أو اليد التي تلعب دورها في إعطاء الصورة الظاهرة لها والتي تحركها وراء هدف معين لا يظهر إلا بربط الحوادث بعضها ببعض وتعليلها واعطاء التحليل الصحيح لها .

جاء موضوع جنوبي السودان وايجاد اتحاد بين الشمال

والجنوب أو اعطاء الجنوب نوعا من الحكم الذاتي بعد أن كانا يؤلفان دولة مركزية واحدة ، لذا رأينا ضرورة إعطاء فكرة عن هذه المنطقة وتسليط الأضواء عليها ليكون المسلمون على بينة من أمرهم وما يَحدث في مناطقهم ، وما هي الأيدي الخفية التي تعمل من وراء الأحداث والتي تختلف بين منطقة وأخرى في الظاهر ولكنها في الحقيقة هي ذاتها ، وإنما تظهر بأشكال متعددة وصور مختلفة .

نشأت فكرة القومية في البلاد العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أيدي نصارى بلاد الشام ، ودعت إليها المدارس والارساليات التبشيرية التي اتخذت من لبنان مرتكزاً لها آنذاك حيث يكثر عددهم هناك وتكثر البعثات التبشيرية إلى مناطقهم ، بل لم يكن لهذه الفئات غير هذه الدعوة وهم يختلفون في عقيدتهم عن سكان البلاد ، والعقيدة أساس كل دعوة سوى هذه ، ثم تعددت القوميات للأسباب والعوامل نفسها فكانت السورية والفرعونية والبربرية ، وكلها تستقي من نبع واحد هو الغرب ، وتلقى مصدراً واحداً للدعم هو المستعمر ، وتحظى بتأييد المبشرين وإرسالياتهم . وكان من هؤلاء قادة التوجيه وبعدئذ زعماء الأحزاب ورؤساء الجماعات المرتبطة بهم .

وأخيراً طغت فكرة القومية العربية على غيرها في النصف

الثاني من القرن العشرين واندحرت امامها القوميات المحلية الاخرى لأسباب كثيرة لا تختلف في جوهرها عن اسباب نشوئها وقيامها. وتراءى لبعض الناس انها اصبحت حقيقة واقعة يمكن الاعتماد عليها كعاطفة وان كانت بلا نظام او دستور ينظم الشؤون ويرعى الحقوق. كما رأوا أنها عاطفة قوية يمكن أن تؤدي دعوتها إلى الوحدة دون عقيدة توحد القلوب والأفكار. ولكن ما إن سار أصحابها مسافة وقطع دعاتها شوطاً حتى بدت السحب في سمائها تنذر بعاقبة وخيمة تجزىء البلاد وتفرق الشعب وبدت هذه العاطفة أنها تغرق بدلا من أن توحد وتجزىء بدلا من أن تجمع الشمل، فهي سطحية من غير عمق تهزها أقل النسمات وتطيح بها أخف الهزات. وما إن سار دعاة هذه العاطفة شوطاً حتى انتفض شمال العراق واهتز جنوب السودان وتحرك أنصار القوميات المهزومة، وأتباع الأقليميات المحلية، ونشبت المعارك، ودارت رحى الحرب، فكانت هذه الحركات صفعة قوية لدعاة العاطفة بالأمس، وبدا أن الوحدة لا يمكن أن تقوم إلا على أساس العقيدة التي تنبع من القلب الذي هو مركز التفاهم ومنطلق الصلاح «القلوب جند مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد بأكمله وإذا فسدت فسد الجسد بأكمله ألا وهي القلب».

وفي هذا الوقت الذي تعصف فيه الفكرة العاطفية بأجزاء واسعة من وطننا الكبير فيعطى جنوب السودان نوعاً من الاستقلال الذاتي وشمالي العراق يسبقه في هذا الحكم ، يجب أن نتعرف على أوضاع هذه الأمصار وعلى العوامل التي أدت إلى ذلك الحكم والمطالبة به ، ونرجو من الله أن يوفقنا في هذه المهمة ، وأن يجعل أعمالنا خالصة له ، والحمد لله رب العالمين .

١٣ حزيران ١٩٧٢م

مَعَ التـــاريخ

السودان كلمة أطلقها العرب على كل البلاد الواقعة جنوبي مصر ، وجميع المناطق التي يسكنها السود ، حيث نسبوا المنطقة إلى سكانها ، ويدخل ضمن هذه الأرجاء السودان الدولة العربية المعروفة الآن والتي تشمل جزءاً كبيراً من وادي النيل ، أما جغرافياً فتشمل السودان كل المناطق التي تقع جنوبي الصحراء الكبرى ، والتي تمتد بين البحر الأحمر شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً .

سكن الانسان منطقة السودان العربية منذ أقدم عصور التاريخ ، فقد كان يعيش في المنطقة التي تقع فيها مدينة الخرطوم حالياً جنوبي مقرن النيلين أناس يصطادون السمك بحراب مدببة الأطراف ، ويجمعون الفاكهة البرية التي لم تزرع أشجارها يد البشر ، ويعود هؤلاء السكان في أصولهم الأولى إلى العناصر الحامية الشرقية التي عاش أقوام منها في شمالي وادي النيل ، وآخرون في شرقي السودان والذين ندعوهم فيما بعد بإسم البجاة ، وآخرون في الحبشة والصومال ، وقد وصلت هذه العناصر الحامية إلى المنطقة من الجنوب قادمة من الجزيرة

العربية عن طريق باب المندب ، كما أن هناك بعض القبائل النيلية والزنجية التي قطن معظمها مديريات الجنوب .

كانت هذه الأقوام أقدم سكان تلك الأرض ، وكان أولئك الذين يعيشون في شمالي وادي النيل قد أوجدوا قاعدة حضارة لهم وضحت في مجتمعهم ، وكانت خطوط الاقتراب مع النيل قد نقلت حضارة الشمال إلى الجنوب ، وأوجدت بعض المجتمعات المتحضرة على النهر ، فكان ملوك الأسرة الثانية عشرة التي حكمت مصر زمن الفراعنة يتاجرون مع الجنوب ، وكان جبل بركل عند الشلال الرابع مركزاً من مراكز الدين لما نزل به كهنة من طيبة عاصمة مصر الجنوبية ، وكان المصريون يسمون المنطقة (تانهسو) وتعني كما يعني الاسم العربي أرض السود ، ثم كان الاسم المصري الأخير (كوش) وقد أعطي هذا الاسم فيما بعد للأحباش .

وينحدر هؤلاء الناس إلى الجنوب مع النيل فيمرون بمجتمعات مبعثرة تزرع الأرض وترعى الماشية في جوار النهر بأسلوب بدائي ، فتتحضر ، وتنشىء لها دولاً ، منها دولة مروى ، وقد أرسل الفراعنة سلسلة من الحملات إلى الجنوب ، فهزم الزنوج عام ١٨٩٧ ق.م ، ثم احتل المصريون بلاد النوبة ، فاتحد النوبيون مع قبائل جنوبي مصر والقبائل الجنوبية وهزموا المصريين وكان كاشتا أول ملك نوبي لمصر ، وعندما احتل

الآشوريون مصر تراجع النوبيون إلى بلادهم وانزووا فيها وفي عاصمتها مروى ، وبقيت الصلات بين مصر والنوبيين جيدة وعندما احتل الرومان مصر قرروا ألا يحتلوا بلاد النوبة البعيدة عنهم .

وكما وصلت ديانة الفراعنة وحضارتهم من الشمال وصلت كذلك النصرانية حوالي عام ٥٤٥ م ، فاعتنقها أهل النوبة ، وبنوا الكنائس العظيمة في بلادهم ، وأصبحت الدول السودانية تعتنق النصرانية وتدين بها .

فتح المسلمون مصر عام ٦٤١ م بقيادة عمرو بن العاص أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ووصل الفتح جنوباً حتى مدينة أسوان ، وكان في السودان يومذاك دولتان نصرانيتان في منطقة النوبة كما يسميها المصريون القدماء ، ويعنون بها بلاد الذهب ، احداهما تسمى « مقرة » أو النوبة السفلى ، وتمتد أرضها من الشلال الأول إلى الشلال الرابع ، وعاصمتها مدينة « دنقلة العجوز » كما كانت تسمى ، وكانت المنطقة الواقعة شمالي « حلفا » حتى مدينة أسوان تسمى « مريس » وعليها حاكم من قبل ملك دنقلة يلقب بصاحب الجبل ، وعليه مراقبة الحدود ، ومنع هجرة العرب إلى ما وراء ذلك الحد ، وتعرف الدولة الثانية باسم « علوة » وعاصمتها مدينة « سوبا » وتقع على النيل الأزرق جنوب شرقي الخرطوم حالياً .

أرسل عمرو بن العاص والي مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح لفتح بلاد النوبة عام ٦٤١م ، ولكنه لم يستطع دخول العاصمة « دنقلة » مع أنه عاد بغنائم كثيرة . وعندما أصبح هذا القائد عبد الله بن سعد والياً على مصر أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه جهز حملة كبيرة استطاعت دخول دنقلة ، وعقد معاهدة مع حاكمها ٦٥٢م تنص على أن تؤدي بلاد النوبة للمسلمين جزية سنوية وأن توفر الحماية للمسلمين في بلاد النوبة والجامع مدينة دنقلة . وظلت علاقة المسلمين في مصر وجيرانهم في بلاد النوبة حسنة وفق المعاهدات الموقعة ، وهذا ما كان يشجع القبائل العربية على الهجرة نحو الجنوب كلما ساءت علاقاتها مع حكام مصر أو خلفاء بغداد ، حتى إن الأمراء كثيراً ما كانوا يلجؤون إلى تلك الهجرة كلما دعتهم الضرورة إلى ذلك .

وكان ملوك النوبة كلما وجدوا ضعفاً من المسلمين أو وهناً من أمراء مصر نقضوا العهد ، ورفضوا دفع الجزية ، وأغاروا على أسوان ومواقع المسلمين في مصر ، وخاصة أيام داود ملك النوبة عام ١٢٧٢م مما اضطر المسلمين إلى حربهم واحتلال جزء من أرضهم أيام الظاهر بيبرس ١٢٧٦م ، وعقدت معاهدة جديدة بين الطرفين ، وأخيراً فتح السلطان الناصر ابن قلاوون دنقلة عام ١٣١٨م ، وكان ملك النوبة عبدالله إبن أخ الملك داود قد اعتنق الإسلام عام ١٣١٦م فسهل انتشاره هناك .

ودخلت بلاد النوبة في الاسلام نهائياً ، وأسلم ملكها بعد أن فر إثر هزيمته إلى مدينة « سوبا » عاصمة مملكة « علوة » حيث ألقي القبض عليه هناك حرصاً على حسن الصلة مع المسلمين ، وسيق إلى مصر ، فأعلن إسلامه ، وأعيد إلى ملكه المحلي .

أما مملكة علوة فقد بدأ يزيد عدد المسلمين فيها عن طريق هجرتهم من الشمال وتنقلهم نحو الجنوب ، ودخول عناصر من سكان البلاد في الاسلام حتى عم الاسلام المنطقة ، وأخيراً استطاع « الفونج » أحفاد الأمويين أن يؤسسوا فيها مملكة عام ١٥٠٥ م ، إذ كان قد هرب بعض الأمويين من ظلم العباسيين الذين خلفوهم في الحكم عام ٧٥٠ م وتفرقوا في البلاد ، فوصل بعضهم إلى شمالي إفريقية ، وجاز بعضهم البحر إلى الأندلس ، وأسسوا هناك خلافة باسمهم ، وصلت أفواج منهم إلى الحبشة والسودان وعرفت باسم الفونج في القرن الخامس عشر الميلادي ، وفي عام ١٥٠٤ م أغار عمارة دنقس من الفونج وعبدالله جماع من قبيلة القواسمة العربية بما لديهما من قوة على مدينة سوبا عاصمة مملكة علوة التي كانت تعاني انشقاقاً داخلياً بين رجالها ، واستوليا عليها ، واتخذ عمارة من مدينة سنار على النيل الأزرق عاصمة لمملكته التي ضمت كل الأراضي الواقعة ما بين النيلين إلى حدود الحبشة ، كما شملت منطقة البجاة في شرق السودان ، أما عبدالله جماع فكان وكيلاً لعمارة في حكم

السودان الشمالي حتى حدود مصر . وقد أسس كلاهما أسرة بقيت تحكم المنطقة التابعة لها حتى أيام محمد علي حيث فتح السودان عام ١٨٢١ م ، وكان آخر ملوك أسرة عمارة الملك بادي السادس الذي سلم سنار لجيوش محمد علي ، وآخر ملوك أسرة عبد الله ناصر ود عجيب الذي حضر فتح السودان على يد اسماعيل بن محمد علي الذي عزله عن المشيخة في مايس عام ١٨٢١ م . وكان ملوك الفونج بمثابة أمراء للمؤمنين ويتبعهم عدد من الملوك ، منهم ملوك أسرة عبد الله ، ومنهم ملوك الجعليين في شندي الذين كان آخرهم أكمل نمر وهو الذي أحرق اسماعيل بن محمد علي في شندي عام ١٨٢١ م ، فانتقم منه محمد علي إنتقاماً بشعاً ، إذ أحرق مدينة شندي ، وقتل بعض سكانها ، وهجّر بعضهم الآخر ، وهجر قسم منهم مدينة شندي وانضم إلى جيش أكمل نمر الذي لاذ بالفرار إلى الحبشة . وأمر ببناء الخرطوم لتكون عاصمة المنطقة بدلاً من مدينة شندي المحروقة . وقد كانت كردفان تدخل في فترات متقطعة ضمن الحدود الغربية لمملكة الفونج .

وعندما دخل العثمانيون مصر عام ١٥١٧ م أي بعد قيام مملكة الفونج باثنتي عشرة سنة ، ووصلت جيوشهم إلى ميناء سواكن سمع الفونج بذلك وظنوا أن الزحف العثماني سيطالهم ، فاجتمع عمارة دنقس ملك الفونج مع وكيله عبد الله جماع ،

وأرسلا رسالة إلى السلطان سليم الأول سلطان العثمانيين ، هذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم . السلام عليكم . . . وبعد لا أعلم ما الذي يحملك على حربي وامتلاك بلادي . فإن كان لأجل تأييد دين الاسلام فإني أنا وأهل مملكتي عرب مسلمون ندين بدين رسول الله ، وإن كان لغرض مادي فاعلم أن أكثر أهل مملكتي عرب بادية ، وقد هاجروا إلى هذه البلاد في طلب الرزق ولا شيء عندهم ، وتجمع منهم جزية سنوية » وقد أرسل مع الرسالة كتاباً جمع فيه أنساب قبائل العرب الذين كانوا في المملكة . ولما وصلت الرسالة والكتاب إلى السلطان سليم أعجب بهما ، وعدل عن فتح السودان ، إذ كان هم العثمانيين الأول آنذاك الوقوف في وجه البرتغاليين الذين جاءوا لمحاصرة المسلمين بعد أن أخرجوهم من الأندلس عام ١٤٩٢ م ، والتفوا حول إفريقية ، وسيطروا على أطراف الجزيرة العربية ، فاحتلوا عدن ١٥١٣ م ، ودخلوا الخليج العربي ١٥١٥ م ، وكانوا ينوون تهديم الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة حسب تصريحاتهم المتكررة ، ولذا غيّر العثمانيون وجهة فتوحاتهم من أوربا إلى الشرق ، وكان همهم الثاني حرب الأحباش أنصار البرتغاليين وعملائهم الذين كانوا يقاتلون المسلمين في شرقي القارة ، ولم يكن همّ العثمانيين فتح المناطق التي يحكمها ملوك أقوياء يستطيعون الوقوف في وجه المد

الصليـبي الزاحـف آنـذاك من الغرب في بـلاد المغرب ، ومن الجنوب في إفريقية وجنوب أرض العرب والمحيط الهندي ، لذا فقد تركوا ملوك الفونج في السودان ليقفوا في وجه الأحباش جيرانهم ، كما تركوا مراكش لتقف في وجه الاسبان وقد كانت قـادرة عـلى ذلـك وقتـذاك ، أمـا الحكـام الضعفـاء الـذين لن يستطيعوا الوقوف في وجـه الصليبيـين أو الـذين لم يساعـدوا العثمانيين في تنفيذ مهمتهم فقد قضوا عليهم كما هو شأنهم مع المماليك حكام مصر والشام والحجاز ، وكذا الحكام الذين يمكن أن يستفيد منهم البرتغاليون ويتخذوا منهم ومن بلادهم قاعدة لحرب العثمانيين كما هو حال الصفويين الذين كانوا يعادون العثمانيين لخلافات مذهبية ، فقد دخل العثمانيون معهم في حرب في سبيل القضاء عليهم لقطع الطريق على البرتغاليين ، ودخلوا عاصمتهم تبريز عام ١٥١٤ م بعد معركة تشالديران الشهيرة .

سلمت مملكة الفونج وما يتبعها من الخضوع للحكم العثماني ، واستمرت في حكم المنطقة حتى عام ١٨٢١ م كما مر بنا ، وبهذا فقد كـان الاسلام يعم المنطقـة الوسطـى من السودان ، وقـد انتشرت الثقافة في العهد الفونجي وكثر المعلمون ، كما دخلت الطرق الصوفية المنطقة .

كانت أول طريقة صوفية عرفها السودان هي الشاذلية التي

تنتسب إلى أبي الحسن الشاذلي[١] من شاذلة بتونس ، وأدخلها إلى السودان الشريف محمد أبو دنانة عام ١٤٤٥ م ، وذلك قبل قيام سلطنة الفونج ، أيام مملكة علوة النصرانية . وكانت الطريقة الثانية هي القادرية ، وأدخلها إلى السودان الشيخ تاج الدين البهاري ، وذلك عام ١٥٤٥ م ، وتنتسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني[٢] في العراق . وكانت الطريقة الثالثة هي الختمية ، ودخلت إلى السودان في أواخر عهد الفونج على يد السيد محمد عثمان الميرغني[٣] ، والطريقة السمانية التي أسسها الشيخ محمد بن عبدالكريم السمان ، وأدخلها إلى السودان الشيخ أحمد الطيب بن البشير العباسي .

أما شرق السودان فقد ظل أهله على الوثنية ، يعبدون الكواكب ، ويعيشون على شكل قبائل أشهرها قبائل البجاة ، وبقوا على وضعهم هذا حتى كثر أذاهم للمسلمين ، فأرسل إليهم المأمون والي مصر عبد الله بن الجهم عام ٨٣١ م لقتالهم ، فانتصر عليهم ، وأخذ منهم الجزية ، وأعلنوا تبعيتهم لسلطان المسلمين ، ولكنهم لم يلبثوا أن نقضوا العهد ، فأعاد عليهم المتوكل الكرة ، فاضطروا إلى عقد معاهدة جديدة ، وبقيت حالهم هذه حتى

---

(١) ولد عام ١١٩٦ م

(٢) المتوفى عام ١١٦٦ م .

(٣) ١٧٩٣ - ١٨٢٥ م .

اختلطوا بالمسلمين . فانتشر بينهم . ودانوا بالاسلام تدريجيا على مدى الأيام دون قتال بعد أن رأوا موافقته للفطرة البشرية وصلاحه للحياة عن قرب وعن علم .

أما المنطقة الغربية فقد ظلّت أيضاً على الوثنية حتى بدأت تصل إليها القبائل العربية الخارجة من الأندلس والفارَّة من المشرق ، كما وصلتها قبائل أخرى كانت تقيم في منطقة أسوان ، واختلطت هذه القبائل بالسكان وتزوجت منهم ، وأقاموا فيها عدة إمارات ، ومن أهمها تلك الأمارة التي أسسها أحفاد العباسيين الذين فروا نحو إفريقية بعد سقوط دولتهم في بغداد عام ١٢٥٨ م على يد المغول . وتروي كتب التاريخ أنه قد وصل إلى تونس شقيقان من أحفاد العباسيين وذلك عام ١٤٢١ م يسمى أكبرهما علياً والآخر أحمد ، وقد استقر المقام بالثاني في جبل مرة من أعالي دارفور الذي كان يخضع لحكم ملك وثني اسمه « شاو دورشيت » الذي التقى بأحمد فأعجبه عقله وأدبه ، فأكرمه وطلب منه المساعدة في تسيير شؤون الحكم ، فنجح أحمد في مهمته مما زاد حب الملك له فزوجه ابنته الوحيدة فولدت له ولداً أسماه سليمان وعرف باسم « سولونغ » أي العربي ، وورث الملك عن جده عام ١٤٤٥ م ، فنشر الاسلام في المنطقة ، وخضع له ملوكها ، وأسس أسرة استمرت في حكم دارفور كان آخرها السلطان ابراهيم الذي قتله الزبير باشا عام

١٨٧٥ م ، وضم مملكته إليه . ثم أعلن تبعيتها فيما بعد للدولة العثمانية ، وبقيت دارفور كذلك إلى أن سلمها حاكمها سلاطين باشا إلى جيوش المهديين عام ١٨٨٤ م ، وبعد هزيمة المهديين عام ١٨٩٨ م ، إنتقل إلى دارفور الأمير علي دينار من أسرة سولونغ السابقة الذكر ، وأعلن نفسه سلطاناً على دارفور ، وظل بها مستقلاً استقلالاً تاماً لقاء ضريبة معلومة كان يدفعها للحكومة في الخرطوم حتى الحرب العالمية الأولى حيث اتهمه الانكليز بالتآمر ضدهم مع جيوش المحور ، فجهزت له الحكومة السودانية جيشاً دخل دارفور ، وقتل علي دينار عام ١٩١٦ م وهو آخر ملوك الفور .

عرف الفور بتمسكهم بدينهم ، وصلابتهم في الجهاد ، وكانت بلادهم قريبة من اقليم واداي الواقع في تشاد اليوم والذي كان مركزاً من مراكز الثقافة الاسلامية ، وشهرت الفاشر عاصمة الفور من بين مراكز العلم والتوجيه .

وخضعت المنطقة الشمالية الغربية من السودان لمملكة كانم الاسلامية التي كانت في أوائل القرن الثاني عشر . كما قامت دولة اسلامية في جبال النوبا أسسها رجل من الجعليين عام ١٥٣٠ م ، وعرفت باسم مملكة تقلى ، وهاجرت إليها القبائل العربية وانتشر في ربوعها الاسلام .

وهكذا أصبح السودان الشمالي يدين كله بالاسلام بل

ومصدراً لنشره ، وتنتقل القبائل العربية في أرجائه الواسعة ، أما السودان الجنوبي فقد بقي على وثنيته حتى العصر الحالي ما عدا أسر قليلة انتشر فيها الاسلام ، وكان تأخر انتشاره في تلك الأرجاء يعود لأسباب عديدة :

١ً - مناخية : حيث تهطل الأمطار في جنوبي السودان في فصل الصيف فتتوافق الرطوبة مع الحرارة العالية فتكون الحياة صعبة وخاصة على تلك القبائل العربية التي اعتادت أن تعيش في جو صحراوي قليل الرطوبة ، وهي التي حملت الإسلام في كثير من الأحيان ، فلم يلائمها جو المنطقة الجنوبية لتعيش فيها ولتجد مستقراً لها هناك .

٢ً - سياسية : فقد كانت أوضاع المسلمين غير حسنة ، فهم منقسمون على أنفسهم ، وليست لهم دولة قوية تعمل على نشر الإسلام والعمل له .

٣ً - طبيعية : حيث تغطي الغابة أجزاء واسعة من منطقة الجنوب تحول دون سهولة الانتقال .

٤ً - بشرية : فالسكان يعيشون على شكل قبائل ، وتحتجب كل قبيلة في غابتها التي تنتقل في ربوعها . مما يجعلها منعزلة لا تختلط بغيرها ، ولا تحتك بمن جاورها ، مما يجعل المؤثرات الخارجية في القبائل شبه معدومة .

وهكذا بقي السودان قسمين : شمالي عربي مسلم ، وجنوبي زنجي وثني .

الحكم المصري

كانت مصر ولاية عثمانية منذ دخلها السلطان سليم عام ١٥١٧ وقضى على حكم المماليك فيها ، ولكن في منتصف القرن الثامن عشر عاد المماليك يحكمون مصر باسم العثمانيين ويتحكمون في شؤونها ، ويتصرفون في امورها كأنهم مستقلون. وفي عام ١٧٩٨ م جاءت حملة فرنسية بقيادة نابليون بونابرت لاحتلال مصر وقطع طريق الهند عن انكلترا ، فأرسلت الدولة العثمانية جيوشاً لاخراج الفرنسيين من مصر ، وكان مع الجيش العثماني الذي جاء عن طريق البحر يدعى محمد علي آغا القولي ، وكان معاوناً لقائد الفرقة الالبانية في هذا الجيش ، وعندما خرج الفرنسيون من مصر ، وحدث صراع على السلطة استطاع محمد علي ان يلعب دوراً يمكنه من استلام السلطة عام ١٨٠٥ بعد تقربه من الشعب .

تم لمحمد علي الامر ، وقوي نفوذه وخاصة بعد فشل الحملة الانكليزية على مصر عام ١٨٠٧ بقيادة فريزر ، وعندها بدأ يوطد الامر لنفسه فحارب المماليك فلجؤوا الى الصعيد ووصل

بعضهم إلى شمالي السودان ، ثم دبر لهم مذبحة القلعة عام ١٨١١ كما تخلص من العلماء الذين اوصلوه الى السلطة وخاصة عمر مكرم الذي نفاه الى مدينة دمياط على ساحل البحر الابيض المتوسط .

تطوع محمد علي للقضاء على الحركة الوهابية التي قامت في الجزيرة العربية فأرسل برأي السلطان العثماني حملة بقيادة ابنه طوسون دخلت المدينة المنورة ، وبقي القتال سجالا بين الطرفين حتى توفي قائد الوهابيين سعود الثاني عام ١٨١٤ م ، ثم ان ابنه الذي خلفه وهو عبد الله لم يستطع مقاومة الحملة المصرية ، وحوصر في عاصمته الدرعية وسلم نفسه سنة ١٨١٨م الى قائد الجيش المصري ابراهيم بن محمد علي الذي تسلم القيادة بعد موت اخيه طوسون ، فأرسله الى والده في مصر ، ومن هناك ارسل الى السلطان في استانبول حيث امر بضرب عنقه .

طمع محمد علي بعد هذا الانتصار الذي أحرزه على الحركة الوهابية في الجزيرة العربية ، وبعد النفوذ الذي أصبح له لدى السلطان فرغب في التوسع ، وأراد فتح السودان لعدة اسباب :

١ ـ استثمار مناجم الذهب الذي سمع بكثرة وجوده في السودان .

٢ ـ تجنيد السودان في جيشه واعتماده عليهم بدلا من الالبان الذين رفضوا الاصلاحات العسكرية خوفاً على مراكزهم .

٣ ـ الطمع في تجارة الرقيق والعاج وما تدره حاصلات السودان من أرباح .

٤ ـ وضع يده على منابع النيل مصدر ثروة مصر .

٥ ـ ملاحقة المماليك الذين وصل بعضهم الى السودان ، فخاف ان يشكلوا هناك قوة تهدد مركزه في مصر .

أرسل محمد علي عام ١٨٢٠م جيشا الى السودان بقيادة ابنه اسماعيل فاستولى على مدن السودان : بربر ، شندي ، سنار ، وانهى حكم الفونج في سنار ، وقضى على حكم بادي السادس آخر ملوكهم ، ثم على كل الملوك الذين كانوا يتبعونهم . الا ان اسماعيل اصيب بمرض فعاد الى مصر ، وفي طريق عودته ، أحرقه ملك الجعليين نمر صاحب شندي ، فوجه محمد علي الى مدينة شندي فرقة انتقمت لاسماعيل بحرق المدينة وقتل قسم من سكانها وأنشأت مدينة الخرطوم لتكون عاصمة بعد أن كانت (سنار) ، ثم انتقلت الى (واد مدني) . ولكن جيوش محمد علي لم تستطع أن تفتح دارفور التي بقيت في ظل ملوكها المحليين حتى فتحها الزبير باشا عام ١٨٧٥ م وأعلن ضمها الى الحكم المصري .

بقيت السودان تتبع مصر طيلة أيام محمد علي وأسرته من بعده وإن كان اشراف مصر المركزي قد ضعف بعد عام ١٨٤٠ م ، ووصل الى الحكم عام ١٨٦٣م اسماعيل بن ابراهيم بن محمد علي ، وكان يرغب في الشهرة والدعاية لنفسه اكثر من غيره من

الحكام ، فاتخذ سبيلهما ، وسلك طريقهما ، وكانت تصبو نفسه الى السياسة التوسعية فسار في طريقها ، وكانت الدولة العثمانية آنذاك في درجة من الضعف تحول دون امكان فرض هيبتها على المناطق البعيدة التابعة لها ، فتنازلت له عن سواحل البحر الأحمر الغربية وسواحل خليج عدن ، وتشمل هذه المناطق اليوم ارتيريا والصومال ومنطقة هرر الواقعة في ارض الحبشة ، ورأى هو ان افضل المناطق التي تحقق سياسته ـ اضافة الى ما اخذ ـ هي البلاد التي تحد دولته من الجنوب حيث الامارات ضعيفة والفراغ السياسي موجود ، وتخلو من الحكم القوي فتسهل السيطرة عليها ، ومنها تتدفق مياه نهر النيل صخابة جرافة ، فيستولي على منابعه ، ويضمن تلك الاصول من ان تقع في يد غيره ، ويدرس مشاريع الري ، ويوحد وادي النيل ، ويحقق ما تتوق اليه نفسه من دعاية امام شعبه وشهرة امام بني جنسه ، والتفت الى تلك المناطق بكامل فكره ، واخذ يعد العدة ، ويرسل الرسل ليقوموا بالدعاية له ، ويمهدوا الامر امام جيوشه .

وفي عام ١٨٦٩ م ، تم فتح قناة السويس ، وكانت اكثرية سهم القناة بيد فرنسا صاحبة الفكرة والتخطيط والمشرفة على لعمل والتنفيذ ، والتي اصبح نفوذها يتسع تدريجياً في مصر حتى لم يعد لها منافس ، ولم يعد يجرؤ احد على معارضتها او

الوقوف في وجه مشاريعها وتحقيق اغراضها . راى اسماعيل كرد فعل لذلك تقوية النفوذ الانكليزي كي يقف في وجه النفوذ الفرنسي ـ حسب زعمه ـ او يحقق بذلك اسطورة (توازن القوى) بين الفريقين المتنافسين على مصر او على الاقل على قناة السويس ـ حسب رأيه ـ ، فعهد الى ضابط انكليزي اسمه (صموئيل بيكر) لتحقيق سياسته التوسعية التي اصبح في حاجة ضرورية الى تنفيذها لعله يحقق بعض الربح او تدخل خزينته اموال جديدة بعد ان انفق الاموال الطائلة في حفلة افتتاح قناة السويس التي دعا اليها ملوك أوربا وأمراءها وبذل الاموال الطائلة لاعطائهم فكرة رائعة عن بلاده . وبعد ان صرف المبالغ الكبيرة للسلطان ليحصل على لقب خديوي ، وهو لقب لا يزيد في سلطته شيئا وان كان يعني نائب السلطان ، وليغير قانون ولاية العهد في مصر الذي كان ينص حسب اتفاقية ١٨٤٠م على ان يلي حكم مصر اكبر افراد اسرة محمد علي سناً ، فأقنع السلطان بان يغير النص فيصبح : يلي حكم مصر اكبر ابناء الوالي وبذلك حصر حكم مصر في ابنائه من بعده . كما انه انفق الكثير في بناء القصور الفخمة التي لا تزال قائمة الى الان ، وانشاء الحدائق العامة ودار التمثيل .

عين اسماعيل صموئيل بيكر برتبة فريق في الجيش المصري ، وأعطاه مهمة فتح الجنوب بما في ذلك أوغندة او ما

ماها بمديرية خط الاستواء ، وكلفه بالعمل على تنشيط التجارة
لمشروعة والوقوف في وجه تجارة الرقيق التي كانت انكلترا
عمل على منعها لا بدافع ـ الانسانية بل للدعاية لنفسها ومن
جل المحافظة على سياستها الاقتصادية وخاصة الصناعة التي
انت تخشى من منافسة البضائع الاميركية لها ، حيث كان
رقيق ينقل الى امريكا ويعمل هناك فتكون المواد الاولية
خيصة ، والصناعة قليلة التكاليف لرخص اليد العاملة
زنجية او التي تعمل بالمجان في انتاج المواد الاولية والصناعة
ماً ، وبهذا تستطيع البضائع الاميركية الرخيصة الثمن منافسة
بضائع الانكليزية الغالية الثمن ثم القضاء عليها ، ومنع تجارة
رقيق يعني قطع مصدر العمال الذين يعملون باجور رخيصة في
يركا ، وارتفاع اسعار الحاجيات الاميركية وبقاء البضائع
نكليزية امام الاميركية . وقد نسي اسماعيل انه لا خير في
جل مثل بيكر حيث انه لا يدين بدين اسماعيل ، فلا يمكن ان
مل للاسلام الذي ارسل الدعاة له ، وحيث أن بيكر لا يؤمن
ه أبداً ، بل يحاربه ، ويعمل ضمن مخططات يحملها في
ببته لمحاربته ، كما انه من بلد آخر فلا يمكن ان
ـل لمصلحة مصر بل انه سيعمل لمصلحة انكلترا
ل التي ينتمي اليها والتي ارسلته او رشحته لمهمة عليه ان
ذها . وبعد انتهاء مدة عقد بيكر الذي لم يؤد المهمة المصرية
أنيطت به ـ كما هو متوقع ـ وان ادى المهمة الانكليزية

الملقاة على عاتقه ، اختار اسماعيل ضابطاً بريطانيا اخر هو الكولونيل (غوردن) الذي جاء الى مديرية خط الاستواء ليخدم المصالح البريطانية ايضاً على حساب المصلحة المصرية ، وكان اختياره للسبب نفسه الذي اختار به (صموئيل بيكر) من قبل ، حيث لم تفده التجربة ، ولم يتعلم من الدرس الذي اخده ، وهذا يدل ان تفكيره بعيد البعد كله عن العمل للاسلام ، وان ارساله الدعاة لم يكن الا في سبيل خدمة مصالحه الشخصية واغراضه الخاصة ، وتعاقد معه على تنفيذ خطة اسماعيل ، ولم يكن بأفضل من سلفه ، فقد منع السلطة المصرية من الوصول الى مياه بحيرة فيكتورية خوفاً من وصول المسلمين الى تلك الجهات واحتكاكها بأبناء البلاد والتأثير عليهم ، بل تركها ميداناً للتوسع الانكليزي ، وأرسل بعثة الى موتيسا ملك بوغنده تحول دون دخوله في الاسلام وتدعوه الى اعتناق النصرانية ، وبعد انتهاء مدة عقده كحاكم لمديرية خط الاستواء عينه اسماعيل حاكماً عاماً للسودان ـ مكافأة له ـ بما في ذلك مديرية خط الاستواء اضافة الى ارتيريا والصومال وهرر التي هي اليوم تحت ظل الاستعمار الحبشي ، فعمد غوردن الى بث الفوضى وخلق الاضطرابات ، والاساءة الى زعماء القبائل في المنطقة ، كي يشعر اهل البلاد بفساد الحكم المصري ، ويطلبوا الانضواء تحت ظل السيطرة الانكليزية والسودانيين من جهة وبين جنوبي السودان وشماليه من جهة أخرى ،فكان يشيع بان المسلمين هم

الذين يتاجرون بالرقيق . كل ذلك واسماعيل يرغب في التقرب من انكلترا لينال بالمقابل منها القروض ، وهي تمده بالمال لتحصل على اسهم في شركة قناة السويس اضافة الى ما تملك ، وقد تم لها ذلك عام ١٨٧٥م عندما عرض اسماعيل حصة مصر من اسهم الشركة للبيع فأسرعت بريطانيا الى شرائها بمبلغ ثلاثة ملايين جنيه ، فأصبح مجموع ما تملكه من اسهم الشركة (٢٠٧) الف سهم من اصل (٤٠٠) الف سهم ، فأمنت بريطانيا بذلك مركزاً لا يضاهى في السيطرة على القناة .

★ ★ ★

مملكة بحر الغزال

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت تجارة العاج وريش النعام من اكثر السلع رواجاً في أسواق مصر والشرق مما شجع كثيرا من المغامرين من تجار مصر والسودان على التوغل في غابات الجنوب طلباً لصيد النعام والفيلة والجواميس ، فكانوا يذهبون في جماعات مسلحة بالبنادق ومدربة على ركوب الخيل وصيد الحيوانات المفترسة . وكان لكل تاجر مكان خاص يبنيه من اغصان الاشجار او الاشواك يعرف باسمه يجمع فيه بضاعته ، ويكدس ما حصل عليه من صيد ، ويتخذه مركزاً يدافع منه عن نفسه وماله ورجاله وكان يعمل مع احد هؤلاء التجار الذي يسمى ابو عموري شاب طويل يسمى الزبير .

ثارت عام ١٨٥٧م بعض قبائل الجنوب على التجار المسلمين ، وهاجمت مراكزهم ، وعملت بهم قتلا ، وكادت تفنيهم لولا شجاعة الزبير التي أنقذت ارواحهم ، فاشتهر امر الزبير وقدمه التجار عليهم ، فعمل تاجراً معهم .

بدأ الزبير يتنقل بين قبائل الجنوب وقد راجت تجارته ،

فاتخذ لنفسه جيشا جمعه من المرتزقة ، ومن الذين حكم عليهم ملوكهم [١] بالموت يفتديهم من بين جلاديهم ، ويضمهم الى جيشه ، أحسن الزبير معاملة جنده فأحبوه ، وتزوج من بنات اشراف القبائل الجنوبية فعلا مركزه فيهم .

كان القتال مستمرا بين قبائل الجنوب وملوكهم العديدين ، وسلاطين المنطقة المحليين كما كان معروفاً اقتتال الجماعات بعضها مع بعض . اصطدم الزبير مع قبائل النيام نيام ، فدخل اراضي سلطان قولو في بحر الغزال فظن السلطان ان الزبير جاء اليه ليثأر لاخيه منصور الذي قتله سلطان قولو ، فدخل في حرب معه ، خرج الزبير اثرها منتصراً فأعلن عن نفسه ملكاً على بحر الغزال واتخذ من بلدة (باية) عاصمة قولو مقراً لمملكته وقد عرفت هذه البلاد فيما بعد باسم « ديم الزبير » .

طبق الزبير احكام الاسلام في مملكته ، واتخذ مجلساً للشورى مؤلفاً من اثني عشر عالماً ، ولكنه بهذا الفعل اصطدم مع التبشير المسيحي الذي بدأ يغزو المنطقة بشكل واسع يدعمه حكام السودان الانكليز والذين لهم نفوذ كبير في المنطقة . ، فتربص الاستعمار الدوائر بالزبير .

فتح الزبير بلاد الزريقات ، ثم فتح دارفور ، وانهى حكم

---

(١) كان الزعماء والقادة في المناطق يعرفون باسم ملوك أو سلاطين .

الملك ابراهيم آخر ملوك اسرة الفور ، وقتله عام ١٨٧٥م ، واعلن ضم هذه المناطق كلها الى الحكم المصري ، الذي يتبع الدولة العثمانية بدوره ، حيث يؤمن انه لا يصح ان يكون للمسلمين سوى دولة واحدة تضمهم وتجمع شملهم وتطبق عليهم النظام الاسلامي . فمنحه الخديوي لقب باشا ، وكان الزبير يريد متابعة الفتح والتوجه نحو الغرب ، يوسع دار الاسلام ويقوم بالدعوة ، الا ان الطلب قد جاءه بالتوجه نحو مصر ، ففعل .

اوغر المستعمرون صدور الحكام السودانيين والمصريين عليه ، فوقع خلاف بينه وبين اسماعيل ايوب حاكم السودان المصري ، كان نتيجته ان استدعي الى مصر فذهب بعد ان ترك ابنه سليمان مكانه ، فقابل الخديوي اسماعيل الذي سيره عام ١٨٧٧ لقتال الروس بجانب العثمانيين ، ولما انتهت الحرب عاد الى مصر ، وبقي فيها حتى قامت الثورة المهدية عام ١٨٨٥ ، فاتهم بالتآمر مع المهدي ، فأمر الخديوي توفيق الذي أصبح أداة طيعة للانكليز باعتقاله ونفيه الى جبل طارق ليكون تحت اشراف الانكليز الذين يحكمون جبل طارق والذين كانوا قد احتلوا مصر عام ١٨٨٢ ، وبعد ان قضى عامين ونصف عام في جبل طارق عاد الى مصر مرة اخرى وبقي فيها حتى ايامه الاخيرة ، ثم رجع الى السودان ، ومات فيها عام ١٣٣٣ هـ ، ودفن بقرية (الجبلي) مسقط رأسه بمحافظة الخرطوم على الضفة

الشرقية لنهر النيل .

اما سليمان بن الزبير الذي حكم مكان ابيه الذي استدعي الى مصر ، فقد بدأت مكائد المبشرين والمستعمرين تحاك ضده ، فطلب منه الاستسلام بعد اعطائه الامان ، والنصح من ابيه بذلك من مصر حسب اشارة ساداتها فاستسلم عام ١٨٧٩ لـ (جس) الايطالي ، فغدر به ، وامر بقتله رمياً بالرصاص مع ٧٠٠ رجـل من اتبـاعـه ، حيـث كـان حكـام السودان من المستعمرين من الانكليز والطليان .

بقي من قادة الزبير وابنه سليمان الامير رابح فلما رأى ما حدث لسليمان سار بألف فارس ، واتجه نحو تشاد حيث اقام دولة اسلامية فيها بقيت حتى قضى عليها المستعمرون الفرنسيون عام ١٩٠٠م .

الحركة المهدية

كانت السودان تتبع مصر ، ومصر بيد الانكليز الذين احتلوها اثر حركة احمد عرابي عام ١٨٨٢م ، وكان يتحكم في السودان قادة غرباء باسم المصريين افسدوا الوضع ، وأساؤوا الى الحكم حسب خطة مرسومة لهم بناءً على مخطط عام يحقق مصالح المستعمرين ويؤمن غاياتهم ، ومن هؤلاء القادة الكولونيل غوزدن حاكم السودان العام وهو انكليزي وجس الايطالي . وكان هوى هؤلاء وميلهم مع الارساليات التبشيرية التي غزت البلاد وملات المنطقة وخاصة جنوبي سوداننا اليوم بل كانت خطة الطرفين تنبع من مصدر واحد ، ويتمم كل منهما الآخر ، ولم يكن هم المبشرين محاولة تنصير اولئك الوثنيين من سكان البلاد ـ فحسب ـ وانما كان همهم ايقاد نار الحقد على المسلمين ، واتخاذ المتنصرين الجدد قاعدة للاستعمار وانصاراً له ، وبهذا تعاون التبشير والاستعمار كما لم يفترقا في يوم من الايام ، فالتبشير ليس الا استعماراً لبس قناع الدين ، وما الاستعمار الا حرباً صليبية تسترت بالاقتصاد ، وقد عمل هؤلاء المبشرون والمستعمرون على حبك المؤامرات ضد كل من يعمل للاسلام او يبدي عطفاً نحو

المسلمين ، وما نفي الزبير باشا وقتل ابنه سليمان وملاحقة قائده الامير رابح واشاعة الفوضى واهانة زعماء القبائل ومحاولة اذلال المسلمين كلما سنحت لاعدائهم الفرصة ، والتمييز بين المتنصرين وغيرهم وارتكاب الجرائم الكثيرة التي وقعت الا من دسائس المبشرين وحكام السودان الانكليز وفعل ايديهم ، واذا كنا لا ندرس في تاريخنا حقيقة الامر وسيرة الرجال الافذاذ الذين قدموا خدمات كبيرة للاسلام بحكمهم واعمالهم والذين كان لهم دور كبير في مقارعة الاستعمار والوقوف في وجهه ووجوه المتسترين بقناع التبشير ، فذلك لان تاريخنا من صنع وتوجيه اعدائنا بحيث لا يتعرض الا الى الحكام والامراء الذين ساروا وراء شهواتهم واهوائهم وكانوا مطية اعدائهم حتى اصيب الكثيرون منا بخيبة امل واعتقدوا ان اهل هذه البلاد لا يصلحون للحكم بل ولن يصل اليه الا كل ذي هوى ومن فقد شخصيته وسار وراء اعدائه ، واذا خالف المستعمرين حل به الويل ولحقت به الهزيمة ونال اقسى صنوف الهوان ، وكأن التاريخ ليس الا تاريخ حكام وامراء واصحاب هوى وتبعية ، على حين ندرس حكام الغرب على انهم اقوياء لا يعملون الا في سبيل بلادهم ، ويوضح لنا التاريخ ذلك الشعب الذي يستجيب للمصلحة العامة ويتفانى في سبيل حقه وكرامته .

امام هذه الاحداث التي كانت تجري في البلاد كان لا بد

من قيام حركة اسلامية صحيحة كرد فعل لما حدث ، تطيح بالحكام وتصحح الاوضاع ، وتقضي على كل فساد ، وقد قامت بالفعل حركات كثيرة في هذه الفترة في اكثر ارجاء العالم الاسلامي الذي كانت احداثه تشابه احداث ما يجري هنا ، وان غيَّر التاريخ الذي بين ايدينا اهدافها وشوه حقيقتها ، ومن هذه الحركات كانت الحركة المهدية في السودان .

قامت الحركة المهدية اذن كرد فعل على الاوضاع التي كانت قائمة في السودان وعلى الحالة المتردية التي وصل اليها المسلمون من ضعف وتأخر وخنوع وجهل وتحكم الاعداء بهم وكرد فعل ايضاً على الاعمال الصليبية التي استفحل امرها . وترجع هذه الحركة في تأسيسها الى السيد محمد احمد بن عبد الله الذي ولد في دنقلة ١٨٤٣م ، وانتقل مع ابيه الى بربر فحفظ القرآن وعاد فانتقل الى شمال الخرطوم فدرس الفقه[١] ، وتعرف على عبدالله التعايشي في الجزيرة ، واعلن الفتى عام ١٨٨١ في جزيرة ابا في النيل الابيض انه المهدي المنتظر لبعث هذه الامة من جديد واحياء مجدها وتطبيق نظامها الالهي واطلق صيحته الاولى لا اله الا الله والله اكبر ولله الحمد . فتجاوب معه الكثيرون ، ثم هاجر هو وصاحبه التعايشي الى غربي السودان يجمعون الانصار ويوضحون الهدف ، فالتف حولهم الرجال ، وسقطت بأيديهم

---

(١) درس الفقه على يد الشيخ محمد شريف نور . وأخذ عليه الطريقة السمانية .

الابيض مركز كردفان في كانون ثاني ١٨٨٣م واصبح سيد السودان الغربي بعد ان استسلم له حاكم دارفور سلاطين باشا النمساوي الذي تولى امر دارفور بعد تسليم الزبير المنطقة للحكم المصري وبعد مقتل ابنه سليمان ومغادرة الامير رابح المنطقة، كما اعلن سلاطين باشا اسلامه بعدما رأى قيمة تطبيق النظام الاسلامي واثره في المجتمع، ثم استسلمت للمهديين جبال النوبا وقتل هيكس باشا اعظم قواد الامبراطورية البريطانية في موقعة شيكان المشهورة في تشرين الثاني ١٨٨٣ وأفني الجيش المصري في تلك الموقعة، وتحرك جيش المهدي نحو الخرطوم، فتم حصارها، ثم فتحت في ٢٦ كانون الثاني ١٨٨٥م، وقتل غوردن حاكم السودان العام. ثم انسحب الانكليز والمصريون من السودان، وكان لهذا الانسحاب معناه الكبير.

كانت الدوائر الاستعمارية تتربص بالبلاد الدوائر، وتتفق فيما بينها على تقسيم مناطق النفوذ، وقد توصلت الى الاتفاق في تلك الآونة، وبموجب هذا الانسحاب من السودان سنة ١٨٨٥م أخليت كل المناطق التي كانت تتبع السودان وهي الصومال ومنطقة هرر وارتيريا من الجنود المصريين، واصبحت مناطق فارغة، لا تستطيع الدولة العثمانية لضعفها ان تملأ هذا الفراغ، فأسرعت الدول الاستعمارية، وحلت في المنطقة كل دولة في بقعة كانت مخصصة لها حسب اتفاقية سرية.

احتلت ايطاليا ارتيريا وجنوبي الصومال ، واخذت انكلترا شمالي الصومال ، وفرنسا منطقة جيبوتي الاستراتيجية الموقع عند مدخل البحر الاحمر . كما اعطيت الحبشة منطقة هرر نتيجة لمواقفها السابقة من الصليبيين وحربها للمسلمين . وهكذا تم توزيع المنطقة التي اخليت .

واثناء حصار مدينة الابيض عام ١٨٨٢ وصلت الى المهدي اخبار نزول الانكليز في الاسكندرية واحتلال مصر ، والقبض على احمد عرابي ، فأعلن المهدي الجهاد المقدس ، واعلن انه سيقوم بتطهير السودان ثم يتقدم الى مصر لحرب الانكليز وطردهم واطلاق سراح احمد عرابي .

وبعد سيطرة المهدي على السودان لم تطل حياته فقد وافته المنية في ٢٢ حزيران ١٨٨٥م ، وخلفه صاحبه السيد عبد الله التعايشي ، فبدأ يرسل الرسل ويوجه الكتب الى الزعماء المسلمين في كل مكان من اجل توحيد الجهود وتطبيق الاسلام ، ومحاربة الصليبيين الذين ينزلون ارض المسلمين ويستعمرونها .

وفي عام ١٨٩٦ م تم تشكيل جيش مصري تحت قيادات انكليزية من اجل اعادة فتح السودان ، وتقدم هذا الجيش بقيادة كتشز نحو الجنوب ، وكانت اوضاع السودان غير حسنة ، فقد توالت على البلاد اعوام من القحط مما زاد في الفقر وانهك الاقتصاد كما انتشرت الامراض في تلك السنوات . ولم يكن

عبدالله التعايشي تلك الشخصية التي يلتف حولها قادة المهديين لما يخامر نفسه من شكوك ولثقته فقط في قبيلته (البقارة)، فاستطاع الجيش المصري التقدم ودخل مدينة ام درمان بعد معركة كرري في ٢ ايلول ١٨٩٨م، ورفع على الدوائر الرسمية العلمان الانكليزي والمصري، حسب اتفاقية الحكم الثنائي بين الحكومة المصرية وانكلترا في ١٩ كانون ثاني ١٨٩٩م. وفر السيد التعايشي، ولكنه صرع في معركة ثانية هي معركة ام ديبيكرات في ٢٤ تشرين ثاني ١٨٩٩، وكان الفرنسيون

يتوسعون من جهة الغرب في هذه الاثناء فوصلوا الى فاشودا بقيادة الجنرال مارشان ، والتقوا بالقائد الانكليزي المتجه من الشمال ، وكاد الصدام ان يقع بين الطرفين لولا انسحاب الفرنسيين وخروجهم خارج حدود جمهورية السودان الحالية . وان ادى ذلك الى سوء العلاقة بين الجانبين لأن حدود مناطق النفوذ لم تكن موضحة بشكل دقيق فاعتبرت فرنسا ان انكلترا قد تمادت في توسيع مناطق نفوذها .

واخذ السودان حدوده الحالية تقريباً بعد هذا الاحتلال الجديد ، وطبق عليه الحكم الثنائي المصري الانكليزي وعرف بهذا الاسم « السودان المصري الانكليزي » . ولا بد قبل متابعة الاحداث والسياسة الانكليزية الاستعمارية من القاء ضوء على حالة السودان الطبيعية والاقتصادية والبشرية .

★ ★

الجغرافية الطبيعية

السودان في جملته سهل أو هضبة فسيحة تنعزل عن مصر بصحراء واسعة يجري وسطها نهر النيل، وقد بقي هذا النهر إلى فترة لا تتجاوز القرنين من الزمن هو الوسيلة الوحيدة للمواصلات يركبه الناس أو يسيرون مساحلين له على دوابهم أو يقطعون الصحراء وأنظارهم متجهة إليه.

والسودان أكبر الدول الأفريقية مساحة، بل وأكثر الأمصار الاسلامية إتساعاً، تبلغ مساحته ٢٫٥٠٥٫٨١٣ كم٢ يحده من الشمال مصر، ومن الغرب ليبيا وتشاد وجمهورية إفريقية الوسطى، ومن الجنوب زائير وأوغندة وكينيا، ومن الشرق الحبشة وأرتيريا والبحر الأحمر.

وتكون الحدود الشمالية تبعاً لرسوم اصطناعية على الخرائط في خطوط مستقيمة متفق عليها مع مصر وليبيا، أما الغربية فتسير تبعاً لخطوط تقسيم المياه بين النيل من جهة ونهري الكونغو وشاري من جهة ثانية على طول الحدود مع تشاد وإفريقية الوسطى وزائير، وفي الجنوب تساير حافة هضبة البحيرات مع أوغندة، ثم تمر مع كينيا في منطقة وعرة وتشكل

في جزء منها الساحل الغربي لبحيرة رودلف ، وتساير في الشرق الحافة الغربية لهضبة الحبشة وهضبة ارتيرية .

وتتألف أرض السودان من :

١ ـ حوض السودان الجنوبي :

ويضم مناطق بحر الجبل وبحر الغزال والجزء الأدنى من نهر سوباط ، ويؤلف المجموع حوضاً متسعاً انحداره العام نحو الوسط ، تحيط به مرتفعات فرتيت في الجنوب الغربي وهي تفصله عن حوض الكونغو ، والهضبة الاستوائية في الجنوب ، وهضبة الحبشة في الشرق ، ومرتفعات كردفان ودارفور في الشمال ، ونميز في المنطقة جزأين مختلفين : المحيط وهو عبارة عن حافات جبلية يختلف ارتفاعها بين جزء وآخر ، ففي الجنوب يبلغ الارتفاع ١٥٠٠ م ، وفي الجنوب الغربي ٨٠٠ ـ ٩٠٠ م ، والسبب في انخفاض هذا الجزء يعود إلى غزارة الأمطار الإستوائيّة المدارية التي تسقط عليه ، مما حوّله إلى هضبة ذات أودية مفتوحة ، تتقاطع خطوط تقسيم المياه فيها نظراً لتقدم التعرية تقدماً كبيراً ، ونظراً لكثرة الأودية فقد سماها المكتشفون باسم (بلاد الأنهار) أما الحافة الشرقية للحوض فشديدة الانحدار وتصل في أعالي نهر بارو إلى ٢٥٠٠ م ، والحد الشمالي في كردفان ودارفور يتراوح بين ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ م . وفي الوسط حوض

منخفض أشبه بالصحن لا يزيد ارتفاع أخفض نقطة فيه وهي بحيرة (نو) على ٤٠٠ م ، وتكثر فوق السطح المستنقعات لأن مياه الأمطار والأنهار لا تجد من الانحدار ما يسهل لها الانصراف لأن السدود النباتية تعرقل سير مياه النيل ، وتخرجها عن مجاريها فتظهر كأنها بحار ، ويطلق على كل نهر هناك اسم بحر لهذا السبب ، فيقال بحر الجبال وبحر الزراف وبحر الغزال وبحر العرب.. ويقال أن هذا الحوض كان في الماضي البعيد بحيرة ردمتها المجروفات.

٢ ـ المنطقة الوسطى

وتتألف من منطقتين يجري بينهما نهر النيل تقع الأولى في غربيّة والثانية في شرقيّه.

أ ـ المنطقة الغربية : وتتألف من مرتفعات كردفان ، ويعرف القسم الجنوبي الشرقي منها باسم جبال النوبا وهي تلال غرانيتية مرتفعة ، ثم هناك مرتفعات دارفور في أقصى الغرب ، ويصل ارتفاعها في جبل مرة الى ٣٠٨٥ م.

ب ـ المنطقة الشرقية : وتغطيها التربة السوداء وتشمل هذه المنطقة أرض الجزيرة الواقعة بين النيلين الأبيض والأزرق ، وسهول البطانة بين النيل الأبيض ونهر عطبرة ثم خور القاش وخور بركة.

٣ ـ الصحراء :

وتعرف باسم صحراء النوبة ، وهي عبارة عن سهل مستو تغطيه الرمال والحصى ، وقد ترتفع الأرض لتكون تلالاً قلما يصل ارتفاعها إلى ٣٠٠ م ، وتتفرق هذه التلال ، وقد تتقارب فتبدو على شكل سلاسل جبلية متصلة . وفي الشرق منها تعلو مرتفعات البحر الأحمر فتصل إلى ارتفاع ١٧٣٦ م ، وتتألف من صخور صلبة بلورية ، وتكون شديدة الانحدار ، ويفصل هذه المرتفعات عن البحر سهل ساحلي ضيق ، ونظراً للارتفاع فإنها تتلقى بعض الأمطار التي تتجمع في أودية ينصرف بعضها نحو البحر الأحمر ، ويشكل الآخر وادي العلاقي الذي يرفد نهر النيل . أما في الغرب فنجد مظهر الصحراء واضحاً جلياً حيث لا نجد أثراً للمياه السطحية ، وإنما تنحصر موارد المياه الجوفية فيها فتظهر على شكل آبار تقوم حولها بعض الواحات مثل سليمة ، النخيلة ، النظرون . . . كما نجد بعض الأودية الجافة مثل وادي الملك الذي ينتهي بالنيل قريباً من بلدة الدبة ووادي المجدم الذي ينتهي في النيل أيضاً عند بلدة كورتي .

ويخترق نهر النيل هذا المنبسط ناحتاً مجراه في الحجر الرملي النوبي ، وأهم ظاهرة في السطح هنا الوادي الذي يشرف على المجرى بجافات عالية ، ويكون خانقاً ضيقاً ، يمتد اعتباراً من الشلال السادس إلى الشلال الأول قرب أسوان ، وكان

للوادي أثر في عرقلة المواصلات بشلالاته وجنادله، كما عرقلت أطرافه هذا الاتصال بوعورته وجفاف سطحه بين مصر والسودان.

المناخ

يمتد السودان بين خطي عرض ٣٠ر٣ْ ـ ٢٢ْ شمالاً، فهو يشمل إذن عدة مناطق مناخية هي: الاستوائية والمدارية والصحراوية.

الحرارة:

يقع السودان كله ضمن المنطقة الحارة، وتأثير البحار عليه ضعيف لانعزاله عنها بحواجز طبيعية، لذا فأهم عامل في الحرارة هو التفاوت في مستوى السطح بين الهضاب والأحواض. وترتفع درجة الحرارة في الصيف وتكون أعلى الدرجات في بلاد النوبة حيث تصل إلى ٤٠ درجة، ولا ريب أن الجفاف هنا عامل أساسي في ارتفاع الحرارة إلى جانب عمودية الأشعة الشمسية بينما نرى المرتفعات تخف حرارتها عن هذه المنطقة وكذا المناطق الجنوبية التي تخفف الأمطار شيئاً من شدتها، أما في الشتاء فيكون الإعتدال هو الصفة العامة للحرارة عدا المناطق الجنوبية بسبب انخفاض السطح ودرجة

العرض مما يسبب ارتفاع درجات الحرارة .

الرياح :

تهب في الصيف رياح شمالية على شمالي البلاد وتكون جافة وسببها سيطرة الضغط المنخفض الاستوائي المتركز في أواسط السودان تقريباً . بينما تهب على الجنوب رياح جنوبية غربية رطبة وتأتي من المحيط الأطلسي وهي شبيهة بالموسميات . أما في الشتاء فتكون الرياح شمالية جافة بصورة عامة وسببها سيطرة الضغط المداري على مدار السرطان في شمالي البلاد فتهب منه رياح الضغط المنخفض الاستوائي .

الأمطار :

تهطل الأمطار في جنوبي السودان في فصل الصيف ويكون موسم هطولها طويلاً وتتجاوز كمية الأمطار هناك ٨٠٠ مم ، ويتناقص هذا الموسم حتى لا يزيد على ثلاثة أشهر في الخرطوم وتبلغ كمية الأمطار هناك ٣٠٠ مم ثم تتناقص حتى خط العرض ١٨° عند التقاء نهر عطبرة بالنيل حيث تنتهي المنطقة المدارية ، وتبدأ المنطقة الصحراوية ، ويستمر تناقص الأمطار حتى تنعدم تقريباً في شمالي البلاد . أما الشتاء فيعتبر جافاً ، وتختلف كمية الأمطار أيضاً حسب المرتفعات .

المياه :

يدخل نهر النيل السودان من أوغنده عند بلدة نمولي ، ويبدأ في انحداره حيث يهبط من الهضبة الاستوائية إلى جنوبي السودان ، ويكون الانحدار في مساقط وشلالات أهمها شلالات فولا ، ومن هذه الأجزاء يبلغ النهر عرضاً لا يزيد على ١٦ م في انحداره السريع ، مما يدل على حالة الانكسار بين جدارين من الصخر الأصم ، وفي هذا القسم وعند جنادل فولا يرفد النيل نهر استوائي هو نهر أسوا ، وبعدها يعود النهر إلى الاتساع ، ويطلق على نهر النيل من هذا القسم حتى بحيرة نو اسم « بحر الجبل » ، فبعد أن كان نهراً جبلياً سريعاً عميق الجوانب كثير الجنادل ، أصبح نهراً بطيئاً يسيل وسط مستنقعات في مجرى متسع منخفض الجوانب ، وتبدأ فيه ظاهرة الجزر ، كما يبدأ في صلاحيته للملاحة من جديد .

يظل بحر الجبل جارياً في واد محدد الجوانب قليل العمق يتعرج المجرى فيه مشكلاً أرض الوادي التي يغطيها الفيضان فتنقلب إلى مستنقعات مغطاة بحشائش طويلة تسمى نبات الفيل ترتفع إلى علو ٤ م ، كما تكتظ بالبابيروس والنباتات العائمة (أم الصوف) المتنوعة التي تكون السدود . والملاحظ أن النهر في هذا الجزء لا يتقيد بمجرى واحد بل يتنقل عبر الفروع

والقنوات المستنقعية ويترك بحيرات نهرية على الجوانب ذات تطور خاص.

وعندما يصل النهر إلى بحيرة (نو) يتغير اتجاهه فجأة نحو الشرق وتنتهي المستنقعات ويبدأ ظهور الوادي بوضوح في النيل الأبيض.

تجتمع إلى بحر الجبل بعض روافد المياه القصيرة من جوانبه غير أن أهم المياه التي تأتيه تلتقي به في بحيرة (نو) وهي مياه بحر الغزال وبحر العرب.

يطلق اسم بحر الغزال على مجموعة الأنهار والروافد التي تنحدر من التلال أو تبدأ من المستنقعات، وتتجمع مياهها لتتركز في ثمانية مجاري رئيسية، ولذلك أطلق على المنطقة اسم بلاد الأنهار. وهي قليلة الانحدار إلا في منطقة التلال، ولا تسير في أودية محددة إلا نادراً، ولذا تنتشر المستنقعات في فصل الأمطار على مساحة تقدر بـ ١٥٠ ألف كم٢.

أما بحر العرب فطويل المجرى يبدأ من أقصى غربي الحوض وترفده عدة أودية آتية من جبال دارفور. وبعد اتصال مياه هذين الرافدين ببحر الجبل في بحيرة (نو) وهي البحيرة التي يسميها السكان «مقرن البحور» يسير النيل الأبيض في واد محدد قليل المستنقعات، ولا ترفده مياه هامة، بل تأتيه مياه

بحر الزراف الذي يصرف مياه بعض المستنقعات في شرقي المجرى الأدنى لبحر الجبل ، وقد وصل هذا البحر بقناة محفورة ببحر الجبل للتخفيف من انتشار مياه النهر الأخير في المستنقعات .

يلتقي النيل بعد ذلك بنهر سوباط الآتي منهضبة الحبشة ، وأهم رافد له نهر بارو الذي يصبح صالحاً للملاحة بعد التقائه بنهر بيرو . وبعد التقاء النيل الأبيض بنهر سوباط يتجه شمالاً حتى مدينة الخرطوم ، ويصبح ضعيف الانحدار حتى لا تكاد تظهر حركة تياره ، وهنا نجد أقل انحدار للنيل في كل مجراه . وعند الخرطوم يلتقي بالنيل الأزرق الذي ينبع من بحيرة تانا في الحبشة على ارتفاع ١٨٠٠ م ، وتتجمع إليه روافد كثيرة من هضبة الحبشة حتى يصل إلى سهول السودان فينفتح واديه الضيق العميق ، وفي السهل يرفده نهران قليلا المياه .

يتجه النيل شمالاً إلى أن يصل إلى عتبة من الصخور البازلتية القديمة يكوِّن عندها خانقاً وشلالاً يطلق عليها اسم شلال سبلوكة أو الشلال السادس ، ثم يرفده نهر عطبرة آخر أنهار الهضبة الحبشية . وبعدها يدخل النيل في صحراء النوبة مكوناً وادياً عميقاً ضمن الحجر الرملي النوبي ومكوناً تعرجات واسعة ، وتكثر في مجراه الجنادل المؤلفة من صخور الغرانيت وتسمى بالشلالات ، ويدخل النيل بعدها مصر .

إن ما يحمله نهر النيل الأبيض من المياه يعتبر قليلاً ولكنه دائم ومستمر، إذ يعتمد النهر في مصر على هذه المياه التي تشكل ٨٣٪ في فصل الشتاء، أما في الصيف فإن أكثر المياه في نهر النيل تأتي من الأنهار الحبشية وخاصة النيل الأزرق الذي يشكل ٦٨٪ من المياه الجارية في أسوان، ويشكل عطبرة ٢٢٪ منها. ويعتبر النيل الأزرق إذن سبب الفيضان الرئيسي في مصر. وسبب الفيضان إنما هو غزارة الأمطار الهاطلة على هضبة الحبشة وشدة الانحدار التي لا تدع مجالاً للتبخر أو الامتصاص.

النبات

إن النبات في كل مكان يرتبط بالمناخ والتربة وشكل التضاريس، وفي السودان الذي يقع في البلاد الحارة نجد أن توزيع المطر هو الذي يؤدي إلى اختلاف توزيع النبات.

ففي الشمال - حيث صحراء النوبة - توجد بعض النباتات الشوكية وأكثرها يقع شرقي النيل ملازماً لمرتفعات البحر الأحمر. أما في الوسط فنجد السافانا الشوكية والشجيرات الشوكية في مقاطعتي كردفان ودارفور وهنا نجد أهم منطقة في العالم لنمو أشجار الصمغ العربي وتعرف باسم (الهشاب) وأشجار الدوم، وتنتشر بينها أعشاب فقيرة قصيرة لا تصلح إلا للرعي، وهذه الأعشاب لا تنمو إلا في فترة المطر القصيرة في الصيف.

وفي شرقي نهر النيل تقوم الزراعة مكان النباتات الطبيعية بسبب توفر مياه الري.

أما في الجنوب فتبدأ السافانا الحقيقية وخاصة في المنطقة المحيطة بالحوض باستثناء مجاري الأنهار، ولكنها تجف في الشتاء فصل الجفاف، أما في الوسط حيث تنتشر المستنقعات وخاصة في فصل الأمطار فتنمو النباتات المستنقعية وخاصة البابيروس ولا يستفاد منها إلا في فصل الجفاف، ومن هذه النباتات البامبو الطويل ونبات البوص، وأم الصوف، وتترابط كلها وتتشابك بواسطة نباتات زاحفة وعائمة من أنواع السرخس، ويأخذ هذا الخليط بالتصالب شيئاً فشيئاً حتى يتكون ما يشبه الطوافة العائمة على سطح الماء، تصل ما بين ضفتي النهر، وتكون ما يشبه السد، وتستطيع أن تحمل أكبر الحيوانات، هذه السدود تحول دون الملاحة، وتؤدي إلى فيضان النهر وتحويل مجراه في أكثر الأحيان.

وتوجد الغابات على طول مجاري الأنهار، ويصل ارتفاع الأشجار إلى ٣٠ م، وهي ذات جذوع ضخمة. يكثر في النيل السمك، وفرس البحر الذي يصطاده الزنوج، والتمساح، أما الحيوانات البرية فتكثر في مناطق السافانا والأدغال كالوعل والغزال والحمار الوحشي،، والخنزير البري، والجاموس الوحشي،والزراف،ثم هناك الأسود والفهود والنمور. كما أن

الفيل موجود وقد عرفت هذه المناطق بقيمتها الاقتصادية بسبب قيمة العاج (سن الفيل) وصيد هذا الحيوان الوديع الذي هدده الانسان بالابادة.

إذن فالسودان من ناحية طبيعية ينقسم إلى قسمين:

شمالي تسوده المناطق القليلة المطر، فيكون على شكل سهوب مفتوحة تتنقل فيه الرعاة، وإذا توفرت المياه قامت الزراعة، وتقوم في المنطقة المدن والحياة الحضرية.

وجنوبي: تكثر فيه الأمطار والمستنقعات وترتفع فيه الأشجار على طول مجاري الأنهار والنباتات المستنقعية التي ترتفع إلى ثلاثة أمتار في الوسط، والسافانا على المحيط، وتكثر في هذه المنطقة الحيوانات كما أن الانسان يعيش في هذه المناطق على شكل قبائل منعزلة في الغابات.

مصر
ليبيا
صحراء النوبة
تشاد
دارفور
كردفان
جبال النوبا
حوض السودان الجنوبي
الحبشة
زائير
أوغندة
كينيا
السودان
طبيعيا

النشاط البشري

السودان بلد زراعة ورعي ، وتختلف الزراعة من منطقة إلى أخرى،فإذا كانت المناطق الشمالية لا تقوم فيها الزراعة إلا على جوانب مجرى النهر وتعتمد على الري بواسطة المضخات ، فإن مناطق كردفان ودارفور تعتمد على المطر ، وتقوم فيها بعض الزراعات القليلة ، كما حفرت هناك الآبار للاستفادة من المياه الجوفية ، أما في المناطق الشرقية فتعتمد على الري وتقوم أهم المشاريع ، فمشروع سد سنار على النيل الأزرق قد انتهى العمل فيه عام ١٩٢٥ م ، ويخزن خلفه ٧٨٠ مليون م٢ ، ويروي أكثر من مليون فدان ، كما أقيم حديثاً مشروع الرصيرص على النيل الأزرق أيضاً ، وهناك مشروع خور القاش عند كسلا ، ومشروع خور بركة عند طوكر .

أما مشروع جبل الأولياء الذي يقع على النيل الأبيض جنوب مدينة الخرطوم بـ ٤٧ كم ، والذي انتهى عام ١٩٤٧ ، فقد كان لصالح مصر . وأهم المزروعات :

١ ـ **القطن** : ويزرع أكثره في أقليم الجزيرة وكسلا ، ويشكل

٧٥٪ من صادرات البلاد ، وتأتي السودان في المرتبة الثالثة بين البلاد العربية بانتاج القطن بعد مصر وسورية ، وتقدم ما يزيد عن ١٠٠ ألف طن .

٢ ـ **الذرة**: وتزرع مختلف أنواع الذرة وتعتبر مع التمر غذاءً رئيسياً في مناطق كثيرة ، وأهم مناطقها كسلا وكردفان والجزيرة .

٣ ـ **السمسم**: وتكثر زراعته في المناطق التي تعتمد على الأمطار .

٤ ـ **الفول السوداني**: ويزرع في مناطق متفرقة .

٥ ـ **النخيل**: في المناطق الشمالية وخاصة في أبي حمد .

٦ ـ **الفواكه**: كالحمضيات والموز والمانغو والأناناس .

٨ ـ ويجمع الصمغ العربي من المناطق الغربية ، وتعطي السودان ٨٠٪ من الصمغ في العالم .
ويقدم الجنوب كميات كبيرة من الأخشاب .

تربية الحيوان:

يعتبر الرعي من أهم انماط المعيشة في البلاد ، بسبب الحياة القبلية ، واتساع المناطق الصالحة للرعي ، وتربي السودان مختلف أنواع الحيوانات وأهمها :

١ ـ **الأغنام** : ويزيد عددها عن ٨ ملايين رأس ، وأكثره في الشمال ، والأغنام السودانية لا تصلح لإنتاج الصوف .

٢ ـ **الأبقار** : يقرب عددها من عدد الأغنام ، ويتميز الشمالي منها بقصر القرون وكبر السنام ، بينما يمتاز الجنوبي بالقرون الضخمة والسنام الصغير ، وهو معروف بجودة اللحم وقلة اللبن . وهناك في جبال النوبا جنوب شرقي كردفان نوع من البقر صغير الحجم .

٣ ـ **الماعز** : وعدده ٦ ملايين رأس .

٤ ـ **الجمال** : وفي السودان أنواع عديدة من الجمال ، ومصر هي السوق الوحيدة لجمال السودان ، ويقرب عدد هذا الحيوان في السودان من مليوني رأس .

كما تشتهر السودان بالخيول وخاصة الكردفاني منها .

ويستفاد أيضاً من العاج (سن الفيل) وريش النعام ، وصيد الحيوان ويأتي أكثره من المناطق الجنوبية .

الثروة المعدنية :

إن الثروات الباطنية المستثمرة قليلة الأهمية في اقتصاد السودان وأهم المعادن المعروفة هي :

١ ـ **الذهب** : في مرتفعات البحر الأحمر .

٢ ـ الحديد : ويوجد في كردفان والمناطق الجنوبية ، ويؤخذ بطرق بدائية .

٣ ـ النحاس : ويوجد في دارفور في حفرة النحاس في أقصى غرب الوادي ، وكذلك في بحر الغزال ، ولا يستثمر لصعوبة المواصلات .

٤ ـ الرصاص : في كردفان .

الصناعة :

لا تزال الصناعة بسيطة وأهمها :

١ ـ حلج القطن : في عطبرة ، وأدمدني ، سنار ، وفي منطقة كردفان .

٢ ـ نسج القطن : في الخرطوم ، وبور سودان ، وواد مدني .

٣ ـ عصر الزيوت : من السمسم وبذر القطن ، في واد مدني ، والخرطوم ، وكوستي ، وأم درمان ، والأُبيّض ، والجنينة .

٤ ـ تعبئة اللحوم : في كوستي .

٥ ـ صناعة الصابون : في الخرطوم .

٦ ـ صناعة الأسمنت : في عطبرة .

٧ ـ تكرير النفط : في بور سودان .

٨ ـ صناعة الجلود : في مناطق مختلفة من البلاد .

٩ ـ صناعة السكر .

المواصلات :

ترتكز المواصلات في السودان على السكك الحديدية ، فالأبعاد الشاسعة وقلة عدد السكان وحالة المناخ والنبات تجعل من العسير مد طرق السيارات والمحافظة عليها ، وخاصة في فترة المطر . وتتركز المواصلات في الجزء الشمالي والأوسط من البلاد .

ولذا فالاتصال صعب بين الشمال والجنوب وخاصة في فصل الأمطار ، ويستخدم النيل كواسطة نقل في المراكب الصغيرة .

السكك الحديدية :

أنشىء أول خط حديدي عام ١٨٩٧ م لغايات عسكرية ابان حملة استعادة السودان من المهديين ، وكان هذا الخط بين وادي حلفا وعطبرة . ثم أوصل الى الخرطوم عام ١٨٩٩ والى سنار عام ١٩٠٩ وإلى الأبيض عام١٩١٣ ، ثم‌وصل بين عطبرة وبور سودان كما وصل إلى كسلا . ثم وصلت الخطوط مع بعضها فاتصلت كسلا بسنار ومد إلى الرصيرص ، ومن الأبيض إلى واو مركز بحر الغزال ثم إلى أقصى الغرب من الحوض إلى نيالا .

هـذه الخطوط يبلـغ طولها ٢٣٠٠ كم ، وهي من النوع الضيق .

التجارة :

تصـدر السودان القطن والصمـغ العربي والسمسم والفول

السوداني والحيوانات والأخشاب ، وتستورد كل ما عدا ذلك . يعتبر ميزانها التجاري متعادلاً تقريباً .

الحَيَــاةُ البَشَرِيَّــة

سكن السودان قديماً وقبل وصول الحاميين إليه مجموعات من الزنوج والأقزام ، فلما جاء الحاميون إلى البلاد التجأ هؤلاء القدماء إلى المناطق الوعرة والجبال المنعزلة والغابة الموحشة ، فعاشوا فيها منفردين ، وقد اختلط الحاميون في بعض المناطق مع الزنوج ، فنشأ عن هذا الاختلاط مجموعات خاصة كالنوبيين .

وعندما وصل مد الموجة السامية من الشمال مع الفتوحات الاسلامية ، وبدأ العرب يندفعون نحو الجنوب ، منهم من يطلب التجارة ، ومنهم من يتيممّ المراعي الخصبة والماء والكلأ ، وقد وجدوا في ربوع السودان الواسعة ما كانوا ينشدونه لقطعانهم من مراعٍ ، كما أن تجارة الرقيق والذهب والعاج كانت مجالاً لأعمالهم ، ولم يكن الدعاة بأقل إندفاعاً من هؤلاء جميعاً ، يعملون في سبيل الله ، بل لم تكن مجموعة من التجار أو أصحاب الحيوانات ، وأفراد القبائل لتخلو من عدد منهم ، يتخذون من أعمالهم مجالاً للاتصال بسكان الأرض ، يجذبونهم إلى عقيدتهم

بجهود بسيطة بعد أن يختلطوا بهم ، ويعرفوهم الاسلام عن قرب بصورة عملية .

اختلط المسلمون الساميون القادمون غالباً من الشمال ونادراً من الشرق بالحاميين قاطني الأرض ، وقد لعبت طبيعة البلاد دوراً كبيراً في هذا الاختلاط ، فالسودان الشمالي بلاد مكشوفة ، ليس فيها من عوائق تحول دون اتصال البشر بعضهم ببعض إضافة إلى أن هذه المناطق تشبه إلى حدٍّ كبير البلاد التي خرجوا منها ، لذلك فقد استطاعوا التوغل فيها والتوسع ، وقد ظل هذا الانتقال مستمرّاً حتى العصور الحديثة ، ومن هذا الانتقال انتشر الاسلام ، فبالاختلاط وبالاحتكاك أخذ سكان البلاد القدماء فكرة عن الاسلام ، وشعروا أنه دين الفطرة ، ينسجم مع طبائعهم ، ويحقق لأنفسهم ما فيها من ميل إلى التدين .

أما القسم الجنوبي فقد اعتبر حائلاً دون تقدم البشر من الشمال ، فالمناخ مانع حيث لم يتعود القادمون من الشمال على الحياة في مثل هذا المناخ ذي الحرارة المرتفعة والرطوبة الدائمة والأمطار الغزيرة ، والغابة حاجز يحول دون الولوج إليها بالنسبة الى جماعات لم يألفوا الدخول إليها ، وكثرة المياه والمستنقعات حد حجز الشمال عن الجنوب ، وكثيراً ما أطلق العرب على الأطراف الجنوبية للصحراء الكبرى اسم الساحل ،

وسواء أكان هذا الاسم يحمل معنى الحدود لهم أو بمعنى ساحل المنطقة الكثيرة المياه تشبيهاً لها بالبحر ، فالأمر واحد أي أنهم لم يتجاوزوا المنطقة المكشوفة . هذا إضافة إلى العزلة التي فرضتها القبائل الزنجية المنطوية على نفسها في الغابة ، والمنعزلة عن غيرها خوفاً من العناصر الحامية القديمة الأكثر حركة حسب طبيعة أرضها والأشد بأساً حسب بيئتها ، فهي تعيش في مناطق مكشوفة ، مما يجعلها في حاجة إلى سرعة الحركة وخفة الانتقال وتحمل شدة المناخ وصعوبة العيش .

هذه الأسباب مجتمعة مع عمل الاستعمار الدائب وجهود المبشرين الدائم للحؤول دون دخول الاسلام الى الجنوب ومحاولة عدم وصول الشماليين إليه أو سفر الجنوبيين إلى الشمال لئلا يتم الاختلاط ، ويتأثر السكان ، فيمكنهم التأثير عليهم وجذبهم نحو دين أوربا المستعمرة ذات الارساليات التبشيرية ـ حسب زعمهم -

هذا ما حال دون الاتصال المباشر مع هذه القبائل واللقاء بها ، فعاشت منفردة منعزلة محافظة على وثنيتها متبعة تقاليدها ، ولو كان الاتصال قائماً والاختلاط موجوداً لانتهى أمر الفرقة التي نراها اليوم ولدخل الاسلام تلك المناطق ، ولعم إفريقية كلها ، وهذا ما نراه يسير الآن ببطء ، ويحدث باستمرار ، رغم منع المستعمرين ومحاولات المبشرين . هذا العمل

البطيء يسير دون جهد بسبب انسجام الاسلام مع الفطرة البشرية ولكن هذا البطء يعادل ضعف ما ينتجه المبشرون الذين يعملون حسب دراسات علمية ومخططات مدروسة وتقف دول أوربا وراء عملهم وتدعمه. فيعتنق النصرانية سنوياً ٢٠ ألفاً من سكان إفريقية تحت تأثير المدارس والمستشفيات والأغراء بالمناصب والأموال، بينما يدخل في الاسلام ضعف هذا الرقم أي ٤٠ ألفاً من الافريقيين اندفاعاً ذاتياً ومعرفة بالحق.

ولما كانت العقيدة مصدر كل نظام، فالنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي نظم تنبع كلها من العقيدة وتستمد مبادئها كلها منها وكذلك الفنون والآداب والأخلاق والعلوم، وهي مظهر من مظاهر الحضارة أيضاً، لذلك بقي هناك تفاوت كبير في الحضارة بين الشمال والجنوب واختلاف في اللغة وتباين في العادات والتقاليد. انتشر الاسلام في الشمال، والمسلم مضطر أن يتعلم العربية لغة الدين، وارتباطه بدينه وحبه له جعله يدرس التاريخ الاسلامي وهذا ما ربطه بالبلاد التي نشأ فيها الاسلام أول ما نشأ وهي أرض العرب ولذا كان الشمال عربياً قلباً وفكراً، وكانت الشعوب الاسلامية جميعاً ترتبط بالعرب، وأكثرها تعتقد أنها من أصل عربي، وتجعل لنفسها نسباً تعود به إليهم وخاصة سكان تلك المناطق التي وطأتها أقدام الفاتحين

الأوائل من المسلمين، أو وصلت إليها قوافل التجار تحمل الفكرة قبل السلعة والعقيدة قبل المادة

والمسلم له نظرة خاصة عن الحياة يختلف فيها عن غيره، فلباسه خاص ينسجم وعقيدته، وبناءه ذو طابع معين يتفق وفكرته، وعاداته وطرق معاشه وأسلوب حياته وتعامله مع الآخرين وسلوكه بل أن كل نظمه تتفق والعقيدة، وهذا ما جعل للشمال حضارة قائمة على أسس تنبع من العقيدة الاسلامية التي أخذت المنطقة بها. أما الجنوب فلا يزال على الوثنية التي لها نظرتها الخاصة بها بالحياة والروح، وطابع خاص بالنظام الاجتماعي والسلوك، كما أن انطواء القبائل على نفسها في الغابة، جعل افرادها يحافظون على عاداتهم وتقاليدهم القديمة مع المحافظة على وحدة القبيلة والطوطم الذي تنتمي إليه - حسب زعمها -.

وسنأخذ فكرة عن قبائل الفريقين:

السودان الشمالي:

وتعيش فيه مجموعة قبلية مختلفة، وتنقسم كل قبيلة بدورها إلى عدد من البطون والأفخاذ، ولما كان همنا اعطاء معلومات عامة لذا فلن نتعرض إلى هذه البطون والأفخاذ والقبائل الصغيرة، ولكن إلى الكبيرة منها والمشهورة وأهم هذه القبائل:

١ ـ **البجاة** : وتعيش في الشمال الشرقي من البلاد ، وهم من أصل حامي ، وقد تأثروا بالساميين ، ولهم لغتان ، العربية والبنداوية والأخيرة قريبة من اللغة السواحلية التي يتكلم بها أهل الصومال .

والبجاة أصلاً بدوٌ رحَّل ، وقد بدأت جماعات كبيرة منهم تستقر ، وتعمل بالزراعة في دلتا الجاش ودلتا طوكر ، ومنهم من يعمل في التعدين ، وقسم انتقل إلى بور سودان للعمل هناك .

ومن أشهر أقسامهم البشاريون في الشمال والهدندوة في الجنوب وأمرار في الوسط ولم يتم تعريب هذه القبائل بعد بصورة تامة .

٢ ـ **النوبيون** : وهم أيضاً من الحاميين الذين اختلطوا بالزنوج قديماً ، ويعيشون في الشمال ، ويستقر بعضهم في قرى على جانبي النيل .

وأما الساميون فهم العرب الذين ينتشرون في السودان الأوسط ، وتعيش بينهم جماعات غير عربية مثل زغاوة والفور في اقليم دارفور ، وغيرهم في بعض الأقاليم الأخرى وإن كانوا ذوي عدد قليل .

ويعمل العرب في الشمال في رعي الابل حيث المناخ الصحراوي ، بينما يعملون في الجنوب برعي الأبقار حيث تصل الأمطار السودانية إلى تلك المناطق .

وتنتمي بعض القبائل العربية إلى القبائل القحطانية بينما ينتسب بعضها الآخر إلى العدنانية .

ومن أشهر القبائل العربية :

١ ـ **الجعليون** : وينتسبون إلى القبائل العدنانية ، حيث يربطون نسبهم بالعباسيين ، فيدَّعون أن جدهم هو ابراهيم (جعل) بن سعد بن فضل بن عبدالله بن العباس عم رسول الله (ﷺ) . ويعيشون حول نهر النيل بين رافديه ، النيل الأزرق وعطبرة وكانت مدينة شندي مركزاً لهم .

٢ ـ **الفونج** : وينتسبون أيضاً إلى العدنانيين حيث يعتبرون أنفسهم من أحفاد الأمويين ، ويعيشون في أرض الجزيرة ، وقد اختلطوا بالزنوج .

٣ ـ **الشكرية** : وهم من القحطانيين ويعيشون في مديرية جهينة النيل الأزرق وخاصة في البطانة .

٤ ـ **الرشايدة** : وهي قبائل قدمت حديثاً من الحجاز في القرن التاسع عشر ، وأقام بعضهم في اقليم طوكر وانتقل بعضهم إلى اقليم عطبرة .

٥ ـ **الحمران** : ويعيشون بالقرب من نهر تكازي الذي يرفد نهر عطبرة .

٦ ـ **العوامرة**: ويعيشون على حدود ارتيريا، وهم من القحطانيين.

٧ ـ **الخوالدة**: وهم من القبائل القحطانية، ويعيشون في مديرية النيل الأزرق.

٨ ـ **رفاعة**: وهم من القبائل القحطانية، ويعيشون في مديرية النيل الأزرق.

٩ ـ **اللحويون**: وهم من القبائل القحطانية، ويعيشون في مديرية النيل الأزرق.

١٠ ـ **مزارة**: ويعيشون في المناطق الشرقية من اقليم كردفان، وهم من القحطانيين، ومنهم المعاليا والشنابلة والزيادية وبنو جرار والبزغة وغيرهم.

١١ ـ **الكبابيش**: وموطنهم حول وادي الملك، وهم من القحطانيين.

١٢ ـ **البقارة**: وينتشرون في كردفان ودارفور، وهم من القحطانيين، ويعيشون على شكل قبائل مثل الزريقات والتعايشة والهبائية في دارفور، والهبائية والحمر في كردفان، ويصل بعضهم إلى إقليم الجزيرة مثل المسلمية والدويحية.

١٣ ـ **الجوابرة**: وقد جاءت هذه القبائل من نجد والعراق

في القرن الرابع عشر، وعاشت على جانب النيل في شمالي السودان.

١٤ ـ **الهوارة**: وتعيش في شمال كردفان وقد اندفعت بسبب ضغط قبائل بني هلال، وينتسب بعضها إلى هذه القبائل.

١٥ ـ **الزبيدية**: وقد جاءت من الحجاز في القرن التاسع عشر.

١٦ ـ **الكواهلة**: وتعيش في شمالي كردفان.

وجميع سكان السودان الشمالي يدينون بالاسلام فيما عدا قليل جداً من المناطق التي تعيش فيها جماعات من القبائل الوثنية، وفيها جماعات من النصارى يعيش أغلبها في المدن.

وبالثقافة الاسلامية تعربت مجموعات لا تعود في أصلها إلى العرب، فأصبح الشمال مسلماً عربياً. ولن نتكلم عن عادات هذه القبائل حيث إنها معروفة لدينا فلا تختلف كثيراً عن تقاليدنا بسبب أثر الاسلام.

السودان الجنوبي:

وبقي خط عرض ١٢ شمالاً كحد يفصل بين الشمال والجنوب، وإن كانت هناك بعض الإستثناءات حيث قبائل البقارة تنتقل جنوبيه، فإنه بقي رمزاً للسياسة الاستعمارية المتبعة في حكم السودان للفصل بين الشمال والجنوب.

وفي المناطق الجنوبية يوجد عدد محدود من المسلمين ومن النصارى ولكن الغالبية العظمى من الوثنيين ، وتعمل الارساليات التبشيرية هناك من زمن بعيد ، كما يقوم بعض الدعاة المسلمين بعملهم الاسلامي بشكل شخصي دون مساعدات تذكر في حين تقف وراء المبشرين دول ومعسكرات وتضع بين أيديهم امكانات ضخمة جداً تعجز عن تقديمها أكثر دول الشرق في هذه الظروف الحالية .

ويقسم سكان الجنوب إلى قسمين :

أ - النيليون الحاميون

٢ - النيليون

أ - النيليون الحاميون :

وهم قسمان ١ - شمالي ٢ - جنوبي

١ - القسم الشمالي ويمثلهم النوبا : وهم قبائل تعيش في منطقة النوبا جنوب شرقي كردفان ، وهي منطقة تتألف من مرتفعات مبعثرة متكسرة بينها أودية واسعة وسهول فسيحة ، وهي ذات أمطار كافية مما جعل الزراعة فيها نشيطة ، وتزيد مساحة المنطقة على ٣٠ ألف كم^{2} ، ويصل تعداد هذه القبائل إلى ٣٠٠ ألف نسمة ، وينقسمون إلى أكثر من خمسين مجموعة فيما بينهم ، وانعزالهم في هذه البيئة هو الذي حال دون انتشار الاسلام بينهم ، وكذلك تتعدد اللغات وتختلف اللهجات . ومن

أشهر هذه المجموعات (المورو) و(اتورو) و(التوليشي) و(النيما) و(التاباك).

يؤمن سكان النوبا بإله قوي يسمونه في لغة (الدلنج) أكبر مجموعاتهم باسم (بعل)، ولا يقوم بأعماله بنفسه بل يوكل بها عدداً من الأرواح اسم كل منها (آرو). ولكل مجموعة من السكان في جبل أو قرية تنظيماتها الدينية الخاصة بها. ويبنى للآرو في كل قرية مكان يوضع فيه الطعام والشراب لتجد هذه الأرواح حاجتها منه عندما تنزل إلى الأرض. ويمثل الأرواح على الأرض كاهن هو (الكوجور) تتخيره الأرواح وتتحدث عن طريقه إلى الناس وهو فاقد الوعي فإن مات اختارت غيره.

ويعرف أهل النوبا الحياة بعد الموت ويسمونها (توالا).

والجرائم الكبرى عندهم القتل والسرقة. ودية القتيل سبع بقرات، ورغم دفع الدية لا يعود القاتل إلى مسكنه إلا بعد عام. والسرقة لا تكون بين سكان الجبل الواحد، ولكن السرقة من سكان جبل آخر، ولا تعتبر السرقة من العدو جريمة، وسكان كل جبل يعتبرون سكان الجبال الأخرى بحكم الأعداء.

والمهر ثمانية رؤوس من الماشية، يدفع الزوج اثنين منها، وتبقى الفتاة في بيت أبيها حتى تحمل بالولد الأول فيقدم الزوج النصف الآخر من المهر حتى يستطيع أن يأخذ عروسه إلى بيته. وإذا ماتت المرأة قبل أن تلد أخذ الزوج من أهلها ما

دفعه إليهم . وإذا مات الرجل من غير عقب جاز أن يتزوج امرأته أحد أشقائه ، وإذا كان له أولاد فإن الأحق بالزواج منها أكبر إخوته ، وللأخ الأكبر الخيار أولاً وهكذا بالتوالي فإن رفضوها كلهم عادت إلى بيت أبيها .

والفتاة التي يموت أبوها تدفع إلى عمها لا إلى أخيها ، وكذا مهرها ، فإن لم يكن لها عم على قيد الحياة فأكبر أبناء عمها . ولا يتزوج الرجل ابنة عمه عند بعض القبائل بينما يمكنه أن يتزوج ابنة عمته . وعند الطلاق يأخذ الرجل إما الأولاد أو ما دفعه من مهر . فإن لم يكن له أولاد أخذ المهر . ويحق للمرأة الطلاق حيث تذهب إلى بيت أبيها الذي يضطر إلى اعادة ما أخذ من مهر .

ولا ترث المرأة عند أهل النوبا . وتقسم التركة بين الأولاد الذكور ولكن يأخذ الكوجور الخمس منها . والعيد الأكبر عند النوبا هو عيد بذر الأرض ويكون عقب هطول المطر . وعيد الحصاد ، واخصاب الماشية ، والكوجور هو الذي يحدد مواعيد هذه الأعياد .

وإذا ولدت البقرة توأماً فإن على صاحبها أن يتخلص منها بسرعة لأن هذا دليل شؤم ، وليس من ضرر في شرائها .

وأهل النوبا قد تأثروا في لباسهم بالاسلام ، كما اعتنقه أفراد منهم .

٢ ـ الزنوج الذين اختلطوا بالفونج في الجزيرة وقد اندمجوا بهم .

٢ ـ القسم الجنوبي :

ويقيمون في أعالي بحر الغزال ، وهم أقصر قامة من الدنكا ، ويعملون في الزراعة والصيد وقليلاً ما يربون الحيوان بسبب انتشار ذبابة تسي تسي في مناطقهم ، وأهم مجموعاتهم :

١ ـ **الزاندي** : ويعيشون في المنطقة الاستوائية ، وقد تعودنا أن نسميهم قبائل نيام نيام ، وقد هاجروا من منطقة الكونغو متجهين إلى الشمال أي إلى جنوبي السودان ، وقد احتل الزاندي مناطقهم التي يقيمون بها الآن بالغزو ، وفُنِيَ أثناء ذلك ما يقرب من نصفهم قبل أن يستوطنوا لأن القبائل الأخرى قد قاتلتهم بضراوة وشراسة ، وكانوا كلما احتلوا منطقة عينوا أحد أقارب زعمائهم حاكماً عليها حتى وجد في تلك المنطقة طبقة من الحكام الزانديين اسمهم (الفنجارا) الذين اتخذوا سياسة الكرم والوفاء في كسب ثقة المنطقة وولائها حتى صاروا ملوكاً عليها . ويحقّ للفنجارا الزواج من الأقارب حتى إن بعضهم كان يتزوج من شقيقته .

والزواج في هذه القبيلة أرخص منه في غيرها ، ولذلك يتزوج الشباب في سن مبكرة ، وتعنى النساء بتصفيف شعر هن

بطريقة خاصة، أما عند الحزن فتحلق المرأة شعرها. وإذا طلق الرجل المرأة لسبب من الأسباب فإنه يستعيد ما دفعه من مهر. والرجل لا يقنع عادة بواحدة، بل إنه كلما زادت زوجاته زادت وجاهته في القبيلة، لذلك فإن الزوجات يشجعن رجلهن على المزيد من الزواج كي يسمو مقامه في القبيلة ويزداد عدد رفيقاتهن في المنزل.

والزاندي يحبون الموسيقى والطرب، ويقطعون المسافات الطويلة مترنمين بأغانيهم الشعبية، وهم يرقصون عراة، ويحركون أقدامهم، ويهزون أجسامهم على قرع الطبول، ويرحبون بكل غريب يرقص معهم، ويحتل السحر المكان الأول في اعتقادات الزاندي وفي حياتهم الاجتماعية، حتى إنه إذا مات أحدهم فمعنى ذلك أن خصومه سحروه، وإذا تعثر بحجر فإن رجلاً ما قد دبر له سحراً خاصاً بذلك، ولعل هذا هو السبب في أن أفراد هذه القبيلة يعاملون الجميع بحذر واحتراس، ولا يثقون بأحد.

وليست الماشية شيئاً في حياة الزاندي لا للتملك ولا للزواج وتأتي بدلها الحراب. والزاندي شعب مقاتل، وعند أفراده جرأة على صيد الفيلة والأسود بالحراب.

وللزاندي لغة مكتوبة.

٢ ـ **بونغو**: ويعيشون في أعالي بحر الغزال ويشبهون قبائل الزاندي.

٢ ـ **ميتو**: ويشبهون جيرانهم البونغو.

٢ً ـ النيليون:

ويسكنون حول بحر الجبل شمالي مدينة جوبا، وعلى جزء من مديرية بحر الغزال، وعلى قسم كبير من حوض نهر سوباط والنيل الأبيض، ويشتغلون بتربية الأبقار وزراعة بعض الذرة والقطن، وأهم قبائلهم:

١ ـ **الدنكا**: يسكن قسم منهم شرقي النيل الأبيض وعاصمتهم الرنك. ويسكن قسم آخر على شكل مجموعات بين النوير وباري. أما القسم الجنوبي فيسكنون جنوبي النوير وشمالي باري، وتمتد منازلهم على شكل مروحة حتى تصل إلى منازل العرب البقارة على بحر العرب.

يسمي الدنكا أنفسهم (جنج). وهم شعب رعوي، وتقوم الثروة لديهم بمقدار الماشية عامة والبقر خاصة. والبقرة تدفع في المهر والدية. وفي عيد اخصاب الماشية يربط الأب حياة ابنه بثور صغير يقدمه له، فيعيش الصبي والثور صنوان حتى إن الصبي يعرف بين لداته بالاسم الذي يطلق على الثور، ولهذا لا تذبح الماشية إلا في المناسبات العظيمة.

والغذاء الرئيسي للدنكا يقوم على الحبوب واللبن ، كما إنهم يصطادون السمك ويتغذون به . ويعملون بصهر الحديد وطرقه والزراعة . ولا يعيش الدنكا تحت زعامة واحدة لأن تنظيمهم القبلي يقوم على أساس العشائر .

وشعب الدنكا شعب متدين ومن أشد سكان الجنوب تمسكاً بالدين ، ويؤمن بقوة خفية تسيطر على العالم ، ثم هناك روح السلف ، وتقدم الأضاحي من الأبقار لهذه القوة الخفية لترسل السحب وتنظم المطر .

والسحر لا يلعب دوراً كبيراً عند قبائل الدنكا .

والزواج قلما يتم بين أفراد العشيرة الواحدة ، وإنما من خارجها ، وإذا حدث فإنما يسبب غضب روح السلف . ولا تقيم الزوجة مع زوجها إقامة دائمة حتى تموت أمه ، وإنما تزوره يومياً . وهي تستقبل الضيف بدلاً من زوجها . ومهر الزوجة عشرون بقرة وقد يصل إلى مئة ، ومنزلة المرأة تتوقف على قدر ما يدفع لها من مهر .

والشائع الاكتفاء بزوجة واحدة ، وإذا تزوج رجل بامرأتين كانت الأولى المشرفة على البيت بينما الثانية تقوم برعي الماشية .

وإذا توفي شاب قبل أن يتزوج ، تزوج أخوه باسمه ، ونسب

الأبناء لأخيه الذي مات كي لا تغضب روحه ، فتسبب موت أولاده أو تحرمه النسل .

وإذا مات رجل بعد زواجه فإن امرأته تنتقل إلى دار شقيقه أو دار ابنه من زوجته الثانية ولا تتم مراسيم الزواج حتى يذبح ثوراً من قطيع المتوفى ويوزع لحمه بين أهل الزوج والزوجة وكذلك فكل ما تلد إنما يسجل باسم زوجها المتوفى كي لا تغضب روحه .

ولا تأكل المرأة أثناء الحمل بعض أنواع من السمك ولحم بعض الحيوانات كي لا يسبب ذلك موت الطفل . ولا ينظر الرجل إلى حماته ، ولا يلتقي بها ، ولا يأكل في منزلها ، ولا يكلمها إلا من خارج الكوخ وبكل احترام ـ حتماً ـ إذا اضطر الأمر ، وكذلك الحال بالنسبة إلى حماة الأخ وشقيقتها .

وأثناء الاتفاق على الزواج ، فإن أم الفتاة تضع على وجهها قطعة من الجلد كي لا يراها الفتى الذي يمكن أن يكون زوجاً لابنتها .

ولا يدخل الرجل بيت أخيه إلا إذا كان غائباً عنه .

ويكرمون الثعابين ولا يعرفون القراءة ولا الكتابة . ويعيشون في بيوت مرفوعة على عمد من الخشب تجنباً للمياه الكثيرة والمستنقعات .

٢ ـ الشيلوك : ويقيمون على الضفة اليسرى للنيل الأبيض وكانوا أقوياء في الماضي حيث كانوا يسيطرون على منطقة النيل الأبيض كلها ثم ضعفت شوكتهم في بداية القرن التاسع عشر . ويعتقد الشيلوك أنهم قد هاجروا من الجنوب من بحر الغزال تحت قيادة زعيمهم (بتاكانج) الذي لا يزال يتقمص باعتقادهم في شخص كل زعيم جديد يقودهم عبر الأدغال .

وينفرد الشيلوك بالبخل والحرص الشديد ، وإن كانوا مشهورين بالشجاعة في الحرب . ويعملون بتربية الماشية وصيد الحيوانات والسمك .

ويعمل أفراد الشيلوك تحت أمرة زعيمهم الروحي والزمني وهو « الرث » الذي لا ينتخب إلا من أولاد الرثوث السابقين من قبل شيوخ القبيلة . والرث يحمل حربة صغيرة في يده ، ويزين معصمه بسوار يزن عشر أوقيات من الفضة . ويسير خلفه حارسان ، ومن رآه من أفراد القبيلة جلس على الأرض على بعد مئتي متر للسلام ، وإلا ابتعد من وجهه .

ويؤمن الشيلوك بأن زعيمهم الأول (بتاكانج) لم يمت ، وإنما ذهب مع الريح ، وهو يدخل روح كل رث جديد ، ويعطيه القوة على الصمود ، والرث مسؤول عن سعادة شعبه ، وعن نزول المطر وإرسال السحاب .

ومقر الزعيم بلدة فاشودا ، ومن حملت من نسائه تركت هذه

البلدة والتجأت إلى أحد مشايخ القبائل وهناك تضع وليدها الذي ينتمي إلى القبيلة التي ولد فيها ، وهي تحميه . أما بنات الرث فيعاشرن من شئن من الرجال دون زواج .

ومن شاء الزواج من الفتيان فإنه يصقل حربته ويأخذ ترسه المصنوع من جلد فرس البحر ، ويصلح من شأن أساوره المصنوعة من الحديد والنحاس والعاج ، ومن خرزه ، ويصفف شعره بطريقة خاصة ويعلق حول عنقه ذيل زراف ، ويذهب إلى ساحة الرقص ، ويتحدى رفيق الفتاة التي تعجبه فإذا وافقت على الرقص معه ، فقد وافقت على الزواج .

والشيلوك يعرفون الوشم ، ويشمون جباههم من الأذن حتى الأذن ، ولا يقتلون الثعابين ، ويحبون الأصفر منها خاصة ، ويتركونه يمرح بكل حرية في داخل منازلهم .

ومن عاداتهم أنهم لا يأكلون أثناء المطر ، ولا يأكل أفراد العائلة بعضهم مع بعض وإنما حسب الجنس وحسب السن .

ولما كان المهر عندهم أقل مما عند قبائل الدنكا لذلك يتزوج أفراد الدنكا من الشيلوك .

٣ ـ النوير : ويعيشون جنوبي التقاء بحر الجبل برافديه بحر الغزال ونهر سوباط ، ويقدر عددهم بنصف مليون نسمة ، ويعيشون متكافلين ويحيون مرتحلين ، ويعتزون بقبيلتهم كثيراً ، لذلك فقد قاوموا الارساليات التبشيرية بسبب تمسكهم بطقوسهم

الخاصة ويطلقون كلمة (كص) على السهم وعلى كل ما يتصل بالروح ، ولا يمانعون بتعدد الآلهة ، ولكن لكل اختصاصه ، (دينغ) مختص بالمرض ، و(ريو) بالحرب ، و(كول) بالصواعق والرعود ، والأرواح تتقمص إضافة إلى البشر في الطيور والبقر .

ومن أشهر أنبيائهم حديثاً في القرن العشرين (وند ننج بنغ) الذي كانوا يحجون إليه من مختلف المناطق ، ويحملون إليه الهدايا التي كان يباركها بأن يبصق عليها . وورثة ابنه (جوبك) ثم (دينغ لاكا) الذي خلفه ابنه (روال) وقد ذبح النوير جميع ممثلي حكومة الشمال الذين زاروا المنطقة إثر الاستقلال .

٤ ـ **الباري** : ويعيشون في جنوبي الدنكا ، ويشتهرون بصنع الحراب وطرق الحديد وقذف السهام ، ويربون الكثير من الماشية . ويتغذون باللبن ، ويحيون على شكل عشائر ، وتقرب عاداتهم من القبائل التي تجاورهم وخاصة الدنكا في أمور الزواج والمهور وتجنب الحماة .

فالعادات في المناطق الجنوبية تختلف كثيراً عن الشمال ، وهي حسب أهواء أصحابها وما تقتضيه ظروفهم بينما هي في الشمال لا تزال متأثرة بالشرع الاسلامي ، ويعجب الانسان من كثرة الأمور السخيفة المنتشرة في الجنوب والتي لا يقبلها العقل السليم ولا يرضاها الذوق السليم فينكرها أشد الانكار ، ويجد نفسه حامداً الله على دينه وعقيدته .

النوبيون
كبابيش
البقارة
نوبا
النوير
دنكا
باري
الحياة القبلية في السودان

التنظيم الإداري

يقسم السودان إلى تسع مديريات وهي :

١ ـ المديرية الشمالية : ومركزها الدامر .

٢ ـ مديرية الخرطوم : ومركزها الخرطوم .

٣ ـ مديرية كسلا : ومركزها كسلا .

٤ ـ مديرية كردفان : ومركزها الأبيض .

٥ ـ مديرية دارفور : ومركزها الفاشر .

٦ ـ مديرية النيل الأزرق : ومركزها وادمدني .

وهذه المديريات الست مسلمة عربية ، وتقع ضمن شمالي السودان .

٧ ـ مديرية أعالي النيل : ومركزها ملكال .

٨ ـ مديرية بحر الغزال : ومركزها واو .

٩ ـ المديرية الاستوائية : ومركزها جوبا .

وهذه المديريات الثلاث تغلب عليها الوثنية الزنجية مع أقليات من المسلمين والنصارى ، وتقع ضمن جنوبي السودان .

المديرية الشمالية
دارفور
الفاشر
كردفان
الأبيض
كسلا
النيل الأزرق
ملكال
أعالي النيل
المديرية الاستوائية
التقسيمات الإدارية
في
السودان

السياسة الاستعمارية

ان الاختلاف الثقافي بين الشمال والجنوب امر واضح لا يحتاج الى دليل ، ولكن هذا يدعو الى استفادة جزء من الاخر لا الى الكراهية والحقد والقتال الذي اثير ، وما كان هذا ليحدث لولا السياسة التي اتبعت ، والتربية التي قامت في الجنوب خلال اكثر من قرن .

وصل المبشرون الى جنوبي السودان عام ١٨٤٨م ، وبدأت جهودهم تتركز على عدة نقاط اهمها :

١ ـ الرق : لقد كانت تجارة الرق معروفة في قرون خلت . وكانت وصمة عار ، وقد عمل فيها الشماليون والجنوبيون والاوروبيون على حد سواء ، ولكن المبشرين جعلوا تبعة ذلك كله على الشماليين فقط وذلك لانهم من المسلمين الذين يعمل المبشرون ضدهم ، ومع التركيز على هذه النقطة غرسوا شعوراً من الكراهية وعدم الثقة في نفوس كثير من الجنوبيين الذين وقعوا تحت تأثير المبشرين الذين هونوا من نصيب الاوروبيين في الاشتغال بتلك التجارة البشعة وغضوا ابصارهم عن مباشرة

القبائل الجنوبية لها فيما بينها .

٢ ـ **السيطرة** : عملت المدارس التي تسيطر عليها كلها الارساليات التبشيرية على تربية الناشئة على ان الشماليين انما يريدون السيطرة على الجنوب واخضاعهم لهم ، وان الاسلام انما يريد ان يسيطر اتباعهم على غيرهم ويسومونهم سوء العذاب .

اثمرت جهود المبشرين خلال نصف قرن في منطقة الجنوب ، واستطاعوا جذب عدد الى ديانتهم ، وبعد هذه المدة جاء الاستعمار الانكليزي ، ليكمل الخطة ويوقع الفتنة .

اعاد الانكليز احتلال السودان من المهديين بجنود مصرية يقودهم ضباط انكليز وذلك عام ١٨٩٨ ، وبعد عام من هذا الاحتلال عقدت انكلترا معاهدة مع الحكومة المصرية التي تسيرها هي ، تحكم السودان بموجبها حكماً ثنائياً ، ويرنع على الدوائر العلمان المصري والانكليزي ، وتقتسم الحكومتان الوظائف العامة ، ويكون الحاكم انكليزياً بعد اخذ موافقة الحكومة المصرية .

ابتدأت انكلترة تطبق سياستها الاستعمارية ، وقد مرت هذه السياسة بثلاث مراحل رئيسية هي :

١ ـ **المرحلة الاولى** :

منذ اعادة الاحتلال ١٨٩٨ ـ حتى ثورة مصر ١٩١٩ :

اتخذت انكلترا قراراً بعد اعادة الاحتلال بأربع سنوات فصلت فيه الجنوب عن الشمال ، وعاملت كل قسم بطريقة مختلفة عن الآخر بحجة ان الجنوب في حاجة الى المزيد من الوقت والمال والوسائل لتطويره بسبب الحياة البدائية فيه ، وكانت الحجة الثانية هي حماية الجنوبيين من تجارة الرقيق التي يمارسها الشمال - حسب دعواها - .

كانت السمة الغالبة على السياسة البريطانية في جنوبي السودان عدم التدخل في شؤون اهل هذا الاقليم الا بالقدر الذي تمليه عليها ضرورات حفظ الامن ، وهيبة الحكم ، وتيسير نشاط المبشرين ، وعدم القيام بأي عمل انشائي بسبب الفقر الا بمقدار ما تقتضيه الضرورات الثلاث : الامن والحكم والتبشير .

وقد اعطي للمبشرين حرية العمل التامة بغية احداث نوع من التحسن العام في احوال السكان واكتساب ولائهم للحكم الانكليزي بالاضافة الى كسبهم الى دينهم .

ويرى المبشرون بسبب اندفاعهم الشديد انه لا بد من السعي لتنصير سكان البلاد جميعاً ، مسلمين ووثنيين ، شماليين وجنوبيين ، وهذا ما عرض كرومر حاكم السودان آنذاك الى كثير من الضغط ليسمح بذلك ، لانه لم يكن يرى هذا الرأي لما يعرف عن المسلمين . وقسم الجنوب الى عدد من مناطق النفوذ لإحدى الكنائس او المذاهب النصرانية المختلفة تمارس فيها

نشاطها بحرية كاملة بغية تنصير السكان. وفي الوقت نفسه فتحت بعض المدارس التبشيرية في الخرطوم وبنت فيها كنيسة وقد برّر ذلك بوجود عدد من غير المسلمين في المدينة.

وكانت الحكومة النمساوية تدعم الكاثوليك اضافة الى حكومات فرنسا وايطاليا، ويدعم الكنيسة الانجيلية انكلترا وعدد من الآباء ذوي الجاه والنفوذ في العالم كله.

وهكذا مضت الجمعيات التبشيرية في مزاولة نشاطها في المديريات الجنوبية، في حمى الحكومة وبعونها مما كان له أعظم الاثر في تعميق هوة الاختلاف بين جزئي السودان.

٢ ـ المرحلة الثانية:

منذ الثورة المصرية ١٩١٩ حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٦:

كانت انكلترا تعتبر مصر والسودان وحدة مالية وادارية واحدة، وعندما قامت الثورة المصرية خافت ان تنتقل الثورة الى السودان بكامله وينتهي وضعها، لذلك عملت على تغيير سياستها والعمل على سياسة الفصل بين جنوبي السودان وشماله وكانت في سياستها هذه تهدف الى عزل الجنوب عن المؤثرات الاسلامية الى ابعد حد ممكن، لذلك عملت على ان يكون الموظفون في الجنوب من ابناء المديريات الجنوبية واذا دعت

الضرورة القصوى فمن المصريين الاقباط ، وجعلت العطلة الاسبوعية يوم الاحد . وبحثت فصل مصر عن السودان ، وانشاء نظام لا مركزي في السودان يستهدف فصل الاقاليم الوثنية في الجنوب عن المناطق الاسلامية في الشمال . وتقرر بناء على هذه السياسة ان يجتمع مديرو الجنوب وحدهم منفصلين عن مديري الشمال .

وقد صدر قانون الجوازات عام ١٩٢٢ وكان اكثر الوسائل التي اتخذتها الادارة البريطانية فعالية لفصل الشطرين بعضهما عن بعض . فقد اعتبر هذا القانون المديريات الجنوبية مناطق مقفلة لا يحق للمسلمين مهما كانت جنسياتهم دخولها بينما سمح للمبشرين بصبغها بألوان يرونها . وادخل بموجب هذا القانون نظام التصاريح الذي يمنع الاجانب من دخول السودان دون ابداء اي سبب لذلك. وخول هذا القانون السلطة اعتبار اية منطقة تريدها منطقة مقفولة . وجعلت المناطق المقفولة قسمين : قسم سمي بالمناطق المقفولة تماماً وقد حرم دخولها على الاجانب والسودانيين تحريما تاماً ، وقسم سمح للمسؤولين باعطاء تصريح لدخولها لمن يرون او منع من يرون . واقيمت منطقة مجردة بين الشمال والجنوب كالمناطق التي يدور فيها قتال ضار مستمر .

وبعد ان تم طرد الشماليين من الجنوب والفلاتة [١] والغرباويين [٢] والبندلة [٣] . بدأ تنفيذ المخطط البريطاني ،

وبدأت الحملات الرهيبة على الجنوبيين الذين اعتنقوا الاسلام ، وتسموا باسماء عربية ، وبدأ فصل كل مسلم جنوبي من اي عمل حكومي يتولاه .

وقد منع قانون الجوازات ايضاً هجرة الجنوبيين الى الشمال للعمل خوفاً من المؤثرات الاسلامية . وفي الوقت الذي منع تجار الشمال والمسلمين شجع التجار اليونانيين والسوريين واللبنانيين المسيحيين بالمتاجرة مع الجنوب . ولما كانت العلاقات بين جزئي السودان ليست تجارية فقط بل هي اجتماعية ورسمية ، لذا فقد ابعد الموظفون الشماليون ايضاً عن الجنوب ، ولكن ذلك قد انقص الاداريين ولم يكن بمقدور الجنوبيين ملء الشواغر لعدم تدريبهم لذا عملت الحكومة على تشجيع الارساليات وزيادة المعونات لها لتدرب الجنوبيين على الاعمال الادارية .

وعملت الادارة البريطانية على محو اللغة العربية وتشجيع اللهجات المحلية والوعي القبلي واللغة الانكليزية بدلاً عنها ، فأوقفت استعمال الكلمات العربية مثل شيخ وسلطان واتخذت

---

(١) الفلاتة : هو الاسم الذي يطلق في السودان على كل القادمين الى السودان من مسلمي غرب أفريقية ، وأصله مشتق من قبيلة الفولاني .

(٢) الغرباويون : هم غالباً أهل كردفان ودارفور .

(٣) البندلة : وهو قوم مختلطون من أباء عرب وأمهات من جنوب السودان .

العبارات المقابلة لها في اللهجات المحلية مثل (بنج) عند قبائل الدنكا. وحثت زعماء العشائر وعامة الناس الجنوبيين على الحفاظ على اسمائهم القبلية، وكانت السلطة ترفض تسجيل اي مواطن جنوبي باسم عربي، وكانت تعطيه رقماً موقتاً الى ان يعود حاملاً معه اسماً قبلياً يشبه اسماء الحيوانات.

حاربت الادارة البريطانية صنع الالبسة العربية، وحاولت اتخاذ الازياء الاجنبية والإبقاء على العري.

وفي الوقت الذي ركد فيه التعليم في الشمال ركوداً تاماً: اهتمت الحكومة بتعليم الجنوب على يد الارساليات التبشيرية لتربية الاجيال على كره الاسلام، وتثقيفهم الثقافة الغربية، وجعلهم انصاراً لسلطانها وخاصة بعد جذبهم الى ديانتها، وكانت تزيد الاعانات الى هذه الارساليات بين الفترة والاخرى وذلك لمساعدتها في تنفيذ خطتها التي تسعى اليها. وكان التعليم في المدارس الابتدائية باللهجات المحلية التي جعلت تكتب بالحرف اللاتيني، وفي المدارس المتوسطة كانت اللغة الانكليزية هي السائدة.

ورأت انكلترا ان تضم الجنوب الى شرقي افريقية، او الى اوغنده واعتبارهما دولة واحدة وذلك لابعاد الجنوب الوثني عن شماله المسلم، ولتحول دون تقدم الاسلام نحو الجنوب، ولتقطع الطريق على الدعاة والتجار المسلمين، وليزيد عدد

الوثنيين في الدولة المقترحة ، وتقل نسبة المسلمين فيضعف شأنهم ، ويقل مركزهم ، وبدأت انكلترا تهيء هذه الخطة ، فشقت الطرق بين جنوبي السودان واوغنده ، وهي غير موجودة مع شمالي السودان ، كما وجهت ابناء جنوبي السودان لاتمام دراستهم في جامعة (ماكريري) الاوغندية التي افتتحتها بدلاً من التوجه الى الخرطوم، ويظهر هذا جلياً مما وصفه الحاكم البريطاني العام للسودان في اواخر عام ١٩٢٩ بان سياسة جديدة في السودان ستتبع وتقوم على عدة اسس اهمها :

١ ـ الغاء تطبيق القوانين الحديثة واللجوء الى العرف والتقاليد للتحكيم بين ابناء الجنوب.

٢ ـ العمل على تشجيع اللهجات المحلية ، وتثبيت الحياة القبلية بكل مظاهرها وعاداتها وتقاليدها.

٣ ـ نشر اللغة الانكليزية ، وجعلها لغة رسمية ، ولغة التفاهم الرئيسية بين القبائل الجنوبية المختلفة ومحاربة العربية والاسماء العربية.

٤ ـ محاربة العادات والتقاليد التي انتقلت من الشمال الى الجنوب ، وتشجيع العري والإبقاء عليه.

نقل كل ضباط الادارة والحكومة المحلية الشماليين من الجنوب. وتحدد ٣١ كانون الاول ١٩٣٠ موعداً اقصى لطرد

الشماليين بعد ما صدر قانون الجوازات الذي تكلمنا عنه عام ١٩٢٢م.

وعمدت الادارة البريطانية الى تخفيض مرتبات الجنوبيين بحجة ان الحياة لا تستدعي اجوراً عالية، واصبح اجر العامل اليومي لا يزيد على (٣) قروش، فازداد البؤس لدى الجنوبيين نتيجة لانخفاض دخلهم، وهنا وتنفيذا لهذا المخطط تدخلت الكنائس وقدمت لهم المساعدات المادية والعينية فسدت بذلك النقص الذي نشأ من تخفيض المرتبات، وبذلك تم دعم الكنائس وسيطرتها على العاملين في القطاع الحكومي بالمدن.

٣ ـ المرحلة الثالثة:

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٦ حتى عهد الاستقلال ١٩٥٦: حدثت عدة امور في السياسة العامة جعل انكلترا تغير سياستها القائمة في السودان، واهم هذه الامور:

١ ـ تغيرت السياسة الاستعمارية بعد الحرب العالمية الثانية، اذ اصبح الاستعمار يفضل تسليم حكم البلاد المستعمرة الى رجال من اهل البلاد يحملون صفة الوطنية ويرتبطون معه بسبب تسليمهم الحكم، كما ان هذه البلاد نتيجة ظروفها الاقتصادية ستبقى مرتبطة بالاستعمار الذي خطط لهذه السياسة، فالمواد الاولية لا يمكن ان تجد لها سوقاً الا في اوروبا،

والمصنوعات ليست لها معامل في البلاد بل يجب ان تشتري من معامل المستعمرين.

وبهذه السياسة يوفر المستعمر تكاليف الادارة، وايجاد الحامية على حين لا يتغير شيء بالنسبة اليه من الناحية الخارجية والاقتصادية.

٢ ـ دلت خطط انكلترا في شرق افريقية على ضعف وعدم وضوح وخاصة فيما يتعلق بوصل جنوب السودان بشرق افريقية نتيجة الاختلاف وعدم التجانس، وما يجب ان يبذل من جهود واموال في سبيل رفع المستوى.

٣ ـ النقد الشديد لسياسة الفصل التي تنتهجها انكلترا، فقد قدم مؤتمر الخريجين الى حكومة السودان عام ١٩٤٢ مذكرة تقضي بالغاء نظام المناطق المقفلة، ورفع القيود التي كانت مضروبة على تحركات السودانيين داخل بلادهم. وارسلت لجنة السودنة التي انشئت عام ١٩٤٦ لجنة فرعية لدراسة اوضاع الجنوب، حيث قدمت تقريراً ضافياً بعد زيارتها للجنوب فضحت فيه السياسة البريطانية وانتقدتها اشد النقد.

وبناءً على ذلك كله، وعلى الصعوبات التي كان يجدها الموظفون الانكليز في الجنوب وخاصة بالنسبة الى الاسماء وازدواجيتها حيث كان للكثير اسماء يعرفون بها بين اترابهم وفي القبيلة وهي اسماء عربية بينما في السجلات الحكومية اسماء

قبلية ، وهذا ما يستغرق وقتاً طويلاً لتحقيق من هذا . لذا عمدت الحكومة الى عقد مؤتمر في مدينة جوبا عام ١٩٤٧ برئاسة السكرتير الاداري وعضوية مديري المديريات الجنوبية ومدير ديوان شؤون الموظفين وسبعة عشر جنوبياً بعضهم من زعماء العشائر وبعضهم الاخر من خريجي المدارس التبشيرية وستة اعضاء شماليين . وقرر المؤتمر رغبة الجنوبيين في ان يتحدوا مع الشماليين في سودان واحد ، وبناء عليه تقرر وجوب تمثيل الجنوب في الجمعية التشريعية المقترحة ، كما يجب تشجيع التجارة وتحسين المواصلات بين الجزئين ، وتوحيد سياسة التعليم .

اخذت انكلترا بمقترحات المؤتمر وغيرت سياستها السابقة بل ربما فكرت في الإبقاء على السودان موحداً وتستطيع بما لها من نفوذ ، وبما في الجزئين من خلاف ، ان تثير المشكلات في كل وقت ترى من مصلحتها ذلك ، اذ كثيراً ما يلجأ المستعمر قبل ان يخرج من البلاد ان يبقى بعض المشكلات او الخلافات القائمة بين اجزاء الوطن الواحد او مع الدول المجاورة له .

وهكذا كان لانكلترا الاثر الكبير في خلق مشكلة جنوب السودان وترك جراح عميقة بين الشمال والجنوب لا يمكن علاجها بسهولة .

الحركة الوطنية

ما كاد الامر يستقر للبريطانيين في السودان حتى ظهرت بعض حركات المقاومة المسلحة التي اخمدها الانكليز بعنف ولعل اقواها كانت، الحركة التي قامت بها مجموعة من الضباط السودانيين بقيادة علي عبد اللطيف ولكنها قمعت في مهدها ، ونكل البريطانيون بقادتها نفياً وتشريداً واعداماً ، وظلت الحركة الوطنية تنمو يوماً بعد يوم حتى تبلورت في تأسيس مؤتمر الخريجين العام ،عام ١٩٣٧ بقيادة اسماعيل الازهري ، ولكن لم تلبث ان اندلعت نار الحرب العالمية الثانية فانشغل الرأي العام باحداثها ، وما ان وضعت اوزارها حتى نشطت الحركة الوطنية نشاطاً ملحوظاً وشهد السودان ميلاد الاحزاب السياسية التي كان ابرزها حزب الاشقاء برئاسة اسماعيل الازهري ويدعو الى الاتحاد مع مصر لتكون جبهة متحدة في وادي النيل تقف سداً منيعاً في وجه الاستعمار ، وحزب الامة الذي يرعاه عبد الرحمن المهدي نجل محمد احمد المهدي زعيم الثورية المهدية ويدعو الى استقلال السودان منفصلة عن مصر ، وحزب وحدة النيل ، ثم جماعة الاخوان المسلمين الذين يدعون الى الاصلاح الديني

وتطبيق نظام الاسلام على جميع نواحي الحياة. وحزب الاستقلال الجمهوري و...

وللجماعات الدينية اثر كبير في الحياة السياسية السودانية، فكانت طائفة الانصار وهي من اتباع السيد عبدالرحمن المهدي وتدعم حزب الامة، وطائفة الختمية وهي من اتباع السيد علي الميرغي وتؤيد الحزب الوطني الاتحادي برئاسة اسماعيل الازهري.

وكما كان للمجموعات الدينية اثر في الحياة السياسية كذلك كان للتجمعات القبلية الاثر نفسه، فقبائل البجاة لها تنظيم خاص، وكذلك قبائل جبال النوبا لهما اتحاد، اضافة الى قبائل الجنوب التي تجمعت حول حزب الاحرار الجنوبي.

واسس مجلس تشريعي عام ١٩٤٦، وظهر التعاون فيه مع حزب الامة، وكان عبد الله خليل سكرتير هذا الحزب رئيساً للمجلس. اما الجماعات التي تؤيد الاتحاد مع مصر وتظهر الموالاة لها فقد توحدت مع بعضها بعضاً، وشكلت الحزب الوطني الاتحادي برئاسة اسماعيل الازهري وتأييد علي الميرغني، فقد قاطعت المجلس التشريعي، وكانت تعارض حزب الامة.

وكذلك فقد تأسس مجلس تنفيذي في السودان، وبدأ يمارس صلاحياته.

وقامت المظاهرات العنيفة تدعو الى الاستقلال، وتنادي

بجلاء قوات الاحتلال ، مما اضطر الاستعمار الى ادخال بعض الاصلاحات على نظام الحكم ، لكن الوطنيين قاوموا تلك الاصلاحات المزعومة ، وتمثلت هذه المقاومة في المظاهرات الصاخبة التي جابت ارجاء العاصمة ، ورضخت انكلترا عام ١٩٥٠ لادخال اللغة العربية في جميع المدارس فوق الابتدائية وارسال الطلاب الى كلية غوردن في الخرطوم بدلاً من كلية ماكريري في اوغندا .

وفي عام ١٩٥١ اعلن الملك فاروق ملكاً على مصر والسودان ، الا ان بريطانيا اعلنت انها لا توافق على اي تغيير في وضع السودان ، وان الحاكم البريطاني العام يجب ان يستمر في ادارة البلاد . وقامت حركة تموز ١٩٥٢ في مصر ، وتنازلت حكومة مصر عن سيادتها على السودان ، وطلبت اجراء انتخابات عامة تحت اشراف لجنة دولية ، واعطاء السودان مرحلة انتقالية من الحكم لتقرير مصيرها بنفسها .

امام هذا وامام اصرار السودانيين على الاستقلال لم تجد الحكومة البريطانية بداً من الدخول في مفاوضات مع الحكومة لوضع حل لمشكلة السودان ، وكانت نتيجة المفاوضات توقيع اتفاقية ١٢ شباط ١٩٥٣ بين الحكومة البريطانية والحكومة المصرية برئاسة اللواء محمد نجيب ، وكانت اهم نصوص تلك الاتفاقية ان يمنح السودان فوراً مرحلة انتقالية اقصاها ثلاث

سنوات تحت اشراف هيئـة دوليـة . عـلى ان يتم خـلال فـترة الانتقال احلال السودانيين محل الموظفين المصريين والبريطانيين سواء في الجيش او البوليس او الادارة او المصالح الحكومية ، وذلك تمهيداً لتهيئة جو حر محايد يمكن السودانيين من ابداء رأيهم في مستقبل بلادهم بان يختاروا احد امرين ـ بعد فترة الانتقال ـ اما الارتباط بمصر او الاستقلال التام .

وبمقتضى هذه الاتفاقية اجريت اول انتخابات عامة في السودان تحت اشراف لجنة دولية وذلك في شهري تشرين الثاني وكانون الأول من عام ١٩٥٣ ، وفاز فيها الحزب الوطني الاتحادي برئاسة اسماعيل الأزهري باغلبية ٥٤ مقعداً مقابل ٤٣ مقعداً للاحزاب الاخرى . ومن ثم تشكلت في شهر كانون الثاني عام ١٩٥٤ اول حكومة سودانية خالصة منذ دخول الاستعمار الى البلاد عام ١٨٩٩ ، ولكن الحاكم العام البريطاني ظل يمارس سلطات رئاسة الدولة حتى يتم تقرير مصير السودان .

وفي شهر آذار افتتح المجلس النيابي السوداني .

وقد حدثت اضطرابات في البلاد وخاصة في الجنوب تتيح عنها تدفق اكثر من ٢٥ الف نسمة نحو العاصمة من القبائل الجنوبية وخاصة قبيلة الماندي ، وقتل في هذه الاضطرابات ثلاثون شخصاً ، وكان ذلك بسبب نجاح اسماعيل الأزهري الذي

تعهد باجراء اتحاد مع مصر . وهذا ما اجبره على تغيير سياسته الى سياسة استقلالية .

وفي ٩ تشرين الثاني ١٩٥٥ تم جلاء جميع القوات المصرية والبريطانية عن ارض السودان ، واجتمع اثرها المجلس النيابي السوداني في ١٩ كانون الاول وبعد ان قدم آخر حاكم عام بريطاني استقالته ، قرر المجلس بالاجماع القرارات التاريخية التالية :

١ ـ اعلان استقلال السودان كجمهورية مستقلة ذات سيادة

٢ ـ تكوين لجنة من خمسة اعضاء ينتخبهم المجلس النيابي السوداني لتمارس سلطات رئاسة الدولة ، وقد سميت هذه اللجنة باسم مجلس السيادة .

٣ ـ ان تنتخب جمعية تأسيسية لوضع دستور مستديم للسودان .

٤ ـ ان تبحث الجمعية التأسيسية مطلب السودانيين الجنوبيين الخاص ، بقيام اتحاد فيدرالي بين السودان الشمالي (العربي المسلم) والسودان الجنوبي .

وتنفيذاً للقرار الثاني انتخب المجلس في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢٦ كانون اول ١٩٥٥ اعضاء لجنة مجلس السيادة ، كما اجاز في الحادي والثلاثين من الشهر نفسه الدستور الموقت

للسودان ريثما تجتمع الجمعية التأسيسية لوضع الدستور الدائم واقراره.

وفي اول كانون الثاني ١٩٥٦ اعلن استقلال السودان، وباشر مجلس السيادة سلطاته الدستورية، واعترفت الدول بهذا الاستقلال.

مشكلة الجنوب:

تقدم الأعضاء الجنوبيون في المجلس النيابي قبل الاستقلال بطلب النظر في اقامة حكومة اتحادية للمديريات الجنوبية. وتمردت بعض فرق الجيش في المديرية الاستوائية عام ١٩٥٥، وكان ذلك بتحريض بعض الجهات الأجنبية وعونها المالي، وبناء على ما كان المتمردون يأملونه من مساندة بقايا الادارة البريطانية لهم لما اتضح من مناشدتهم الحاكم البريطاني العام إرسال فرق من الجيش البريطاني لمساندتهم في تمردهم، ولكن الحكومة الوطنية استطاعت أن تحول بينهم وبين وصول أي عون مكشوف لهم، كما استطاعت اخماد التمرد.

الاستقلال

١ ـ الحكم المدني :

سحب الزعيم الديني علي الميرغني ثقته من اسماعيل الأزهري ففقد الأغلبية في المجلس ، وأجبر على تشكيل وزارة قومية اشترك فيها رؤساء مختلف الأحزاب احتفظ فيها لنفسه بوزارة الخارجية ، وضمت نصف أعضائها من صفوف الحزب الوطني الاتحادي والنصف الآخر من أعضاء المعارضة وهي : حزب الأمة والجمهوري الاشتراكي والأحرار الجنوبيون والجبهة الاتحادية والاستقلال الجمهوري ، وقد شملت :

رئيس الحزب الوطني الاتحادي اسماعيل الأزهري رئيساً للوزارة ووزيراً للداخلية ، ورئيس حزب الأمة عبد الله خليل ، ورئيس الحزب الجمهوري الاشتراكي يوسف العجب ، وزعيم الجبهة الاتحادية محمد نور الدين ، ورئيس حزب الاستقلال الجمهوري ميرغني حمزة ، ومن الأحرار الجنوبيين سطانسلاوس بياساما ـ بنيامين لولي .

ولكن لم يلبث اسماعيل الأزهري أن أبعد عن الحكم ، وكـ ـ

عبد الله خليل سكرتير حزب الأمة بتشكيل وزارة ائتلافية.

ونشأ حزب الشعب الديمقراطي برئاسة علي عبد الرحمن وكان أكثر أعضائه من الحزب الوطني الاتحادي، الذين انفصلوا عنه، بعد أن سحب علي الميرغني ثقته من الأزهري، وكان هذا الحزب يلقى التأييد والدعم من الطائفة الختمية وزعيمها علي الميرغني.

وتكونت الجبهة الاسلامية التي ضمت ممثلين من مختلف الهيئات الدينية وذلك إثر إعلان الاستقلال والتفكير في وضع دستور دائم وكانت تدعو إلى دستور مستمد من تعاليم الاسلام، وعرفت باسم الجبهة الاسلامية للدستور.

جرت الانتخابات في شباط ١٩٥٨، ولم تدل على تغيير كبير في المقاعد النيابية، فعادت الحكومة الائتلافية برئاسة عبد الله خليل. ولكنه لم يلبث أن حدث الانقسام في الحكم الائتلافي، مما جعله ضعيفاً، فعجز عن مواجهة الحالة السياسية والاقتصادية غير المستقرة، ولم ينجح في تصريف موسم القطن لعام ١٩٥٨، ثم جاء موسم هزيل، فزاد الأمر بلبلة، وتقلصت الواردات، وأصبحت البلاد بحاجة إلى قروض أجنبية.

واختلفت الأحزاب وخاصة حزب الأمة وحزب الشعب الديمقراطي حول هذه القروض ومصدرها، ثم حول إقامة علاقة أوسع مع مصر، وهذا ما أضعف الحكم بشكل أوضح، فلجأ

رئيس الوزارة عبد الله خليل إلى مشاورة جماعة من الضباط في الجيش لحل البرلمان ، وإقامة حكم مباشر يدعمه الجيش .

مشكلة الجنوب :

باشرت الحكومات الوطنية سياسة تعليمية واضحة في الجنوب حيث تسلمت مسؤولياتها التعليمية كاملة فتولت ادارة المدارس في الجنوب مباشرة كما هو الحال في الشمال ، وطبقت سياسة تعليمية واحدة تضمن للمواطنين وحدة ثقافية ، ولكنها اصطدمت بالواقع المر الذي أوجده المبشرون والاستعمار ، وبهذا لم تنجح تماماً في اقتلاع جذور الفتنة ، وصبت جهودها في تدبير المزيد من ضروب التنمية الاقتصادية والاجتماعية من جهة ، وفي كسب الأصوات والجماهير من جهة ثانية ، ولم تهتم اهتماماً كافياً بمعالجة المشكلة على الصعيد السياسي والدستور بل أوكلت الأمر كله فيما يتعلق بهذا الجانب من الموضوع إلى لجنة الدستور القومية التي لم تكن من صلاحياتها بحث هذا الأمر ، كما أن هذه اللجنة قد انسحب منها الأعضاء الجنوبيون عندما رفضت البحث في طلب تقدم به الجنوبيون قبل الاستقلال لإقامة حكومة اتحادية في المديريات الجنوبية .

تأسس حزب الاتحاد الوطني السوداني (سانو) وكان يرأس هذا الحزب (جوزيف أودوهو) ، وكان (وليم دينج) سكرتيراً عاماً ، و(اكري جادين) سكرتيراً مساعداً ، كما انضم إليهم

(ساترينو لاهورا)[1] رئيس حزب الأحرار الجنوبي.

ومع استمرار المشكلة استمرت الصدامات وأعمال التمرد والعصيان.

٢ ـ الحكم العسكري:

اتصف النصف الثاني من القرن العشرين بقيام حكومات عسكرية في كثير من بلدان الشرق، وكان سبب قيامها أحد أمرين: الأول: الصراع الحزبي الذي ينشأ في البلاد المتخلفة ذات الحكم الديمقراطي، هذا الصراع كثيراً ما يؤدي إلى إضعاف هيبة الحكم، هذا بالإضافة إلى التقصير في إيجاد الحلول المناسبة للشؤون الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن التطور وزيادة المشاريع وفقر البلاد، كما أن الفوضى والتمييز الذي يحدث من تفضيل أنصار الحكومات وكذا الرشوة وغيرها كل هذا يؤدي إلى تسلم الجيش لمسؤولية الحكم بعد قيامه بإنقلاب. والأمر الثاني: هو أن الاستعمار أصبح يفضل الحكم العسكري كنصير له يسير بالبلاد حسبما يريد دون معارضة بعد كمِّ الأفواه وإخراس الألسن مع مناداة بالوطنية ورفع لشعارات عدم الانحياز وتحقيق المساواة. وقد مل الاستعمار الفوضى الديمقراطية في الدول المتأخرة، كما أنه أصبح يخشى تسلم

---

(١) ساترينو لاهورا: قتل عام ١٩٦٧ على الحدود الأوغندية.

السلطة من قبل مجموعة تعادي الاستعمار وتحاربه ، على غفلة منه وبسبب وجود الفوضى والضعف لدى الحكومات القائمة .

أحد هذين الأمرين أو كلاهما كان يؤدي إلى قيام الانقلابات العسكرية وتسلم الجيش للسلطة وإقامة حكومات عسكرية ديكتاتورية تنفذ مخططاً مرسوماً لها وتدعي الوطنية والحكم باسم الشعب وجماهيره .

وفوجىء أهل السودان يوم ١٧ تشرين الثاني عام ١٩٥٨ بتسلم الجيش للسلطة ، وكان يقود الحركة ستة من كبار الضباط ، ثم استشير ابراهيم عبود القائد الأعلى للجيش فوافق على الاشتراك بالعمل فأصبح رئيساً للمجلس العسكري المؤلف من ١٣ ضابطاً ، ورئيساً للوزراء لوزارة تضم سبعة من العسكريين وخمسة من المدنيين كما احتفظ لنفسه بوزارة الدفاع . وبارك المهدي والميرغني الحركة ، وتعهد الجنرال عبود بأن الجيش لن يبقى في الحكم أطول من المدة الضرورية لتأمين حكم مستقر .

أحال الحكم العسكري رئيسي الوزارة السابقين على التقاعد ، وألغى الأحزاب السياسيه ، وصادر أملاكها ، ولكنها شكلت في البلاد جبهة وطنية معارضة ضمت مختلف الأحزاب وفي طليعتهم حزب الأمة والوطني الاتحادي والأخوان المسلمون .

واجهت البلاد مصاعب اقتصادية وسياسية ، وعزلة من مصر ، ولكنها اتفقت معها عام ١٩٥٩ على توزيع مياه النيل ، وأخذت بموجبها معدل ربع مياه النهر التي تتدفق سنوياً و١٥ مليون جنيـــه كتعويـــض عن الخسائر الـــتي تحدث من جراء الفيضانات في حالة بناء السد العالي في أسوان .

أعلنت الحكومة العسكرية سياسة « الحياد الايجابي » ، وتلقت المساعدات الاميركية ، واعترفت بالصين الشعبية .

مشكلة الجنوب :

استمرت المشكلة ، وازدادت تأزماً ، ومع استمرارها ظهرت منظمة عسكرية جنوبية عرفت باسم (انيانيا) ومعناها ثعبان الكوبرا السام الأسود ، وقد أعلنت في بيانها أن الصبر قد نفد ، وأن العنف هو الطريق للوصول إلى حل حاسم ، ونشطت هذه المنظمة ، وأخذت تتلقى المساعدات العسكرية والمادية من أطراف دولية متعددة ، ولعل أكبر المساعدات كانت تأتي عن طريق الارساليات التبشيرية .

انتهجت الحكومة العسكرية في معالجتها للمشكلة سبيل البطش والارهاب والقتل دون تمييز مما أذهل مسلمي الجنوب حيث نالهم ما نال غيرهم وأصاب الآمنين ما لحق بالعسكريين ، وهذا ما اضطر عدداً من المسلمين الجنوبيين الى العمل مع الوثنيين ضد الحكومة فقد قتل عدد من زعماء التجار

وكبارهم ، واضطر عدد من السكان إلى الهرب خارج الحدود عبر أراضي أوغنده والحبشة وكينيا وتشاد .

وإضافة إلى هذا فقد أقدم الحكم العسكري على طرد الارساليات التبشيرية من الجنوب على أنها أساس المشكلة فطار صواب المستعمرين الذين يعملون خلف المبشرين ومنذ تلك اللحظة بدأ العمل ضد الحكم العسكري ، واتفقت على ذلك مختلف الجهات . فالمستعمرون والمبشرون نالهم أذى كبير حسب رأيهم بسبب طرد الارساليات التابعة لهم ، وأهل الجنوب أصاب بلادهم التدمير بسبب الحرب الشاملة وسياسة البطش ، وأهل الشمال لحقهم كبت الحريات وكم الأفواه وحكم الارهاب ، فاجتمعت الكلمة وعقد مؤتمر المائدة المستديرة حيث ضم أحزاب الشمال وهي :

١ ـ حزب الأمة .
٢ ـ الحزب الوطني الأتحادي .
٣ ـ حزب الشعب الديمقراطي .
٤ ـ حزب الاستقلال الجمهوري .
٥ ـ جبهة الميثاق الاسلامي[(١)] .

---

(١) جبهة الميثاق الإسلامي : وهي تضم الاخوان المسلمين وغيرهم من الهيئات والرجالات الإسلامية فقد كان الاخوان يعملون ضمن دائرتين ، دائرة صغيرة تضم الاخوان ودائرة كبيرة تضم مختلف العناصر الإسلامية .

٦ ـ الحزب الجمهوري الاشتراكي .
٧ ـ الحزب الشيوعي .
٨ ـ الحزب الاسلامي الاشتراكي .
٩ ـ حزب السلام الوطني الديمقراطي .
١٠ ـ اتحاد جبال النوبا العام .
١١ ـ حزب مؤتمر البجاة .
واشترك من الجنوب .
١٢ ـ حزب الأحرار .
١٣ ـ جبهة الجنوب .
١٤ ـ حزب الاتحاد الوطني السوداني (سانو) .
ومثل المستعمرين والمبشرين اتحاد الكنائس العالمي .
١٥ ـ جبهة الهيئات وتضم النقابات والمهنيين وتشكلت إثر حركة تشرين الأول مباشرة عام ١٩٦٤ وكانت تشرف على الوضع وكان الصراع يدور بين الاخوان المسلمين والشيوعيين .

فبقيت ثمانية أحزاب فقط هي :

١ ـ حزب الأمة .
٢ ـ الحزب الوطني الاتحادي .
٣ ـ حزب الشعب الديمقراطي .
٤ ـ جبهة الميثاق الاسلامي .
٥ ـ جبهة الهيئات .

٦ ـ الحزب الشيوعي .
٧ ـ جبهة الجنوب .
٨ ـ حزب سانو .

٣ ـ عودة الحكم المدني :

اتفقت كلمة الجميع ، وقامت حركة ابتدأت على شكل مظاهرات امتدت إلى الجامعة ثم عمت البلاد ، مما اضطر الحكم العسكري إلى ترك السلطة التي آلت إلى حكومة مدنية كانت برئاسة سر الختم الخليفة . وقد اختاره بعض قادة الجيش واضطر مندوبو الأحزاب وجبهة الهيئات إلى الموافقة عليه وذلك يوم ٢١ تشرين الأول ١٩٦٤ ، بينما استلم اسماعيل الأزهري رئاسة مجلس السيادة .

رفعت حالة الطوارىء ، وأطلق سراح المعتقلين السياسيين . وألغيت القوانين المقيدة للحريات ، وتم الاتفاق على إجراء انتخابات عامة .

مشكلة الجنوب : وعد رئيس الوزراء بحل قضية الجنوب في بيان وجهه إلى الشعب يوم ٣٠ تشرين الأول . كما أعلن العفو العام عن المتمردين ومن كان قد ناصرهم من الجنوبيين . ودعا إلى عودة كل من غادر البلاد إلى الدول المجاورة فراراً من سياسة البطش والارهاب التي كانت سائدة أثناء الحكم العسكري . ثم دعا الى عقد مؤتمر قومي تشترك فيه جميع

الأحزاب السودانية الشمالية والجنوبية ويشهده مراقبون من سبع دول إفريقية عربية وغير عربية وذلك للنظر في مشكلة الجنوب برمتها والتشاور في أنجح الوسائل لحلها .

وبالفعل عقد مؤتمر المائدة المستديرة كما سمي بالخرطوم في آذار ١٩٦٥ ، فكان خطوة لرد الثقة إلى النفوس ، ولتلمس الطريق إلى حلول سياسية وإدارية مرضية من الشمال والجنوب على حد سواء ، وقد عاد عدد من الذين غادروا البلاد ومنهم وليم دينج أحد زعماء حزب سانو وشاركوا في مؤتمر المائدة المستديرة ولكن الاختلاف لم يلبث أن ظهر بين الشمال والجنوب .

قال الجنوبيون إن مؤتمر جوبا في تموز ١٩٤٧ الذي طالب بالوحدة لم يكن ليمثل إرادة الجنوبيين كما ادعى أنصاره ، وإن اتفاقية ١٩٥٣ كانت بين بريطانيا ومصر وأحزاب الشمال ، ولم يكن للجنوبيين أي رأي ، وأن استغلال الشمال للجنوب كان في الماضي والحاضر حيث لم تقم أية مشروعات حيوية في الجنوب ، ثم طالبوا باستقلال الجنوب ، وانسحاب الجيش وقوات الأمن من المديريات الجنوبية ، وادعوا أن الحكومة لا تسيطر على الوضع .

كما اقترحت أحزاب الجنوب وهي : حزب سانو وجبهة الجنوب اجراء استفتاء في مديريات الجنوب تحت اشراف هيئة

مستقلة على أن ترفع حالة الطوارىء ، ويعود الجيش إلى ثكناته في الشمال ، وتتعهد أحزاب الجنوب بالعمل على إنهاء التمرد ، ويكون الاستفتاء على الاحتمالات التالية .

أ ـ الاتحاد الفدرالي .

ب ـ الوحدة مع الشمال .

جـ ـ الانفصال .

وتكون نتائج الاستفتاء ملزمة للشمال وللجنوب على حد سواء .

أما أحزاب الشمال فترى أن حزب سانو وجبهة الجنوب لا يمثلان رأي الجنوبيين ، وقد أصدرا بياناً لوقف القتال في الجنوب ولكن لم يستجب نداؤهما وهذا دليل على أنهما لا يمثلان الجنوب ، ومعنى سحب قوات الأمن من الجنوب حسب مطلب أحزاب الجنوب تعريض حياة المواطنين للخطر وخاصة أن هناك فئات تعيث فساداً دون احترام لأي قانون ، وكذلك بالنسبة لسحب الجيش إلى الشمال فالجيش لكل البلاد وليس لمنطقة دون أخرى ، كما لا يصح لجماعات تتمثل في الحكومة بثلاثة وزراء أن تتهمها بأنها لا تسيطر على الوضع ولا على الجيش ، وإنما كل الأقوال التي تكلمت فيها أحزاب الجنوب لا يفهم منها إلا تقسيم البلاد وهذا ما لا يرضاه مواطن . وأن الاستفتاء لا يمكن أن يتم بسبب الأمطار وسوء المواصلات

وفساد المتمردين إضافة إلى أن حق تقرير المصير هو حق للأمة وليس لجزء منها كما أن الاستفتاء اعلان صريح بفشل المؤتمر ، وأن انتخاب عام ١٩٥٣ كان ممثلاً للشعب السوداني تمثيلاً صادقاً حيث تم تحت اشراف لجنة دولية وأعلن المجلس المنتخب آنذاك استقلال السوذان بحدودها الحالية المعروفة وذلك في كانون أول ١٩٥٥م .

ورأت أحزاب الشمال أن أفضل حل هو الحكم الأقليمي حيث اعتقدت أن الحكم المركزي لا يناسب الحال بسبب وجود الخلاف ،كما أن الحكم الاتحادي لن يؤدي إلا إلى الانفصال وزيادة أعمال القتال . ويكون للجنوبيين في الحكومة المركزية نيابة رئيس الجمهورية وما لا يقل عن ثلاثة وزراء ، ونواب حسب السكان .

ولكن الجنوبيين أصروا على الاستفتاء وأضافوا نقطة رابعة يمكن الاستفتاء عليها وهي الحكم المحلي ، وبالنتيجة فلم يتوصل مؤتمر المائدة المستديرة إلى قرار اجماعي حول شكل الحكم الذي ينبغي تطبيقه في البلاد إلا أنه قرر وجوب استبعاد شكلين للحل هما : الانفصال واستمرار الوضع الحالي (الدولة المركزية) .

لذلك طلب من الأعضاء أن يتقدموا إلى اللجنة بمقترحاتهم

حول الوضع الدستوري. وأخيراً اتفق على الحكم الأقليمي، ووضحت سلطات الحكومة المركزية والأقليمية والمشتركة بينهما إلا أن الخلاف عاد فظهر حول تقسيم البلاد إلى أقاليم، ثم أصدرت اللجنة القومية للدستور توصيات حول الحكم الاقليمي وذلك في ١٦ كانون أول عام ١٩٦٧م وبينما كانت الحكومة تقوم بتنفيذ القرارات من جهتها كانت الأحوال في الجنوب سيئة وتزداد تعقيداً، حيث كانت أعمال العنف تعرقل تنفيذ ما يجب عمله لذلك بقيت المشكلة قائمة، والحكومة كانت تتهم منظمة الأنيانيا بالقيام بأعمال الارهاب وتدينها بينما يقول الجنوبيون إن هذه الأعمال ليست من طرف واحد بل إن جنود الحكومة هم الذين يرتكبون أغلبها.

وأثناء أحد الاجتماعات تلقت أمانة السر برقية من حزب سانو بشرق إفريقية مضمونها فصل وليم دينج من الحزب وتكليف جبهة الجنوب بتمثيلهم في اللجنة إلا أن وليم دينج ومؤيديه أصروا على أنهم المثلون الشرعيون لحزب سانو، ورغم وصول ممثل لسانو من الخارج إلا أن اللجنة قررت الاعتراف بحق حزب سانو في داخل البلاد في التمثيل في اللجنة، وهكذا ظهر الانشقاق في هذا الحزب وتزعم وليم دينج جناحاً بينما تزعم الجناح الآخر (جوزيف أودوهو) من خارج البلاد، واستمرت الانشقاقات، وتشكيل الجبهات ومنها جبهة (ازانيا)

للتحرر التي كانت تهدف لإقامة دولة تحمل إسم (ازانيا)[1] تبلغ مساحتها ربع مساحة السودان أي ما يقرب من ٦٥٠٫٠٠٠ كم٢ ، وتضم ٣٧٪ من سكان البلاد عامة ، وقد قامت حكومات جنوبية مؤقتة خارج البلاد منها حكومة جنوب السودان المؤقتة برئاسة (اكري جادين) التي قامت عام ١٩٦٩ م ، وحلت بعدها حكومة النيل[2] الموقتة ، ونافستها حكومة (أنابيدي) الموقتة ، وكانت لكل من هذه الحكومات جهات ومصادر لتقديم المساعدات المادية والإعلامية ومن وراء كل هذا الإرساليات التبشيرية ومجلس الكنائس العالمي .

وظهرت خلال هذه الانشقاقات في القيادة السياسية زعامة الكولونيل (جوزيف لاجو) رئيس منظمة (الانيانيا) الذي قاد العمل السياسي والعسكري للجنوبيين من خارج البلاد .

الخلاف في الشمال :

استلم التجمع السياسي المؤلف من أكبر الأحزاب السودانية الحكم وتمثلت هذه الأحزاب في سر الختم خليفة ، وجرت

---

(١) أزانيا : اسم لمملكة قديمة قامت في الجنوب .

(٢) حكومة النيل الموقتة : أقامها غوردن مارتان ، وهو الآن يعارض اتفاقية أديس أبابا . أما حكومة أنابيدي فقد أقامها الجنرال تافن بعد فشل انقلابه ضد غوردن مارتان وحكومته (حكومة النيل الموقتة) وكان قد استلم أركان حكومة أكري جارين ، وهو الآن يعارض اتفاقية أديس أبابا .

الانتخابات العامة في آذار ١٩٦٥ وتشكلت إثرها حكومة برئاسة محمد أحمد محجوب من حزب الأمة ، ثم حكومة الصادق المهدي من زعماء حزب الأمة أيضاً ، واستمرت من تموز ١٩٦٦ حتى مايس ١٩٦٧ ، أعقبتها حكومة محمد أحمد محجوب ثانية ، واستمرت حتى حركة ٢٥ مايس ١٩٦٩ .

أثناء هذه الفترة وقعت معارك ومنازعات بين الأحزاب السودانية وجرت انشقاقات في داخل أكبرها .

بدأت المنازعات بين الأخوان المسلمين والشيوعيين وهما الحركتان العقائديتان الوحيدتان بين أحزاب السودان السياسية الأخرى والتي كان همها جمع المؤيدين وكسب الأنصار وخاصة بالنسبة إلى الوجهاء وأهل الرأي ومواسم انشائها أيام الانتخابات . كما أن الإخوان المسلمين والشيوعيين أكثر هذه الحركات أثراً في أوساط الخريجين وفي الشارع .

فالإخوان المسلمون يملكون رصيداً كبيراً من الفكر ، ويستفيدون من العاطفة الإسلامية لدى الشعب ، وفطرة الإنسان الدينية ، ولما كانوا على شيء من التنظيم والشباب في سنيهم الأولى فإنهم يرغبون في التنظيم وينخرطون في صفوف من يظهر القوة فقد استطاع الإخوان أن يضموا إلى صفوفهم عدداً كبيراً من الشباب استطاعوا بهم أن يقفوا في وجه الشيوعيين . ولكن في الوقت نفسه كانت تقف في وجههم الدعاية الأجنبية

التي يقصد بها تهديم الإسلام بضرب حركاته الصحيحة ودعامة المخلصين وبإشاعة الشائعات عنهم ، كما تقف في وجههم الحكومة المصرية التي تملك أكبر دعاية إعلامية في البلاد العربية حيث اختلفت مع الإخوان في مصر وهذا ما حال بينهم وبين انتخابات عام ١٩٥٨ ، وظهورهم بشكل واسع في المجال السياسي في تلك الأيام التي سبقت تلك الفترة ، وحتى في هذه الأثناء فقد عاد الخلاف من جديد بين الحكومة المصرية والإخوان ، فكانت الدعاية توجه ضدهم ، وتكال التهم لهم ، إضافة إلى مدنية العصر الزائفة ورغبات الشباب الجامحة وفساد التربية وتدهور الأخلاق وأصحاب الأهواء والمصالح والأحزاب العميلة والمرتبطة.

وأما الشيوعيون فيعتبر الحزب الشيوعي في السودان أكبر الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية ، حيث يستفيد من الدعاية الواسعة في بلاد يسودها الفقر ثم دعم المعسكر الاشتراكي بكامله ومد الحزب بكل الوسائل الكفيلة بتأمين أسباب القوة له من مادية وثقافية وإعلامية . كما أنهم يستفيدون من تأمين رغبات الشباب في الإختلاط ومن الدعاية الواسعة التي تطلقها كل أجهزة الإعلام في العالم تقريباً ضد خصومهم الأخوان هذا إضافة إلى تنظيمهم الدقيق ونشاطهم ودأبهم المستمر.

اصطدمت الحركتان في كل ميدان في الانتخابات وفي

الجامعة وفي الشارع (واستطاع الأخوان بتأييد الشارع) لهم تلقين خصومهم ضربات قاسية بما يشيعونه ضدهم، حتى اضطر الشيوعيون إلى تصدير منشوراتهم بـ (بسم الله الرحمن الرحيم) وإنكار إلحادهم في منشورات عديدة وزعوها. وأخيراً استطاع الإخوان اعتبار الشيوعيين منظمة غير قانونية.

كانت هذه الصدامات وحدها كافية لإضعاف الحكم بسبب قوة الحركتين، ثم تلا ذلك انشقاقات في داخل الكتل.

انقسم حزب الأمة أكبر الأحزاب السودانية إلى مجموعتين، الأولى برئاسة الصادق بن السيد الصديق بن السيد عبد الرحمن المهدي، وترى ضرورة التعاون الاسلامي والوقوف في وجه الشيوعية مع بقية الأحزاب والفئات السودانية الأخرى.

والثانية يتزعمها محمد أحمد محجوب ويؤيدها السيد الهادي بن عبدالرحمن المهدي عم الصادق المهدي وحفيد قائد الثورة المهدية محمد أحمد المهدي وترى العمل السياسي ضمن النظام الديمقراطي.

وانقسمت حركة الأخوان المسلمين إلى كتلتين الأولى ويتزعمها الدكتور حسن الترابي وترى ضرورة التكتل السياسي ضد الشيوعية، والعمل ضمن دائرتين الأولى دائرة اخوانية

منظمة تنظيماً دقيقاً والأخرى دائرة أوسع من الأولى وتشمل جميع العناصر الاسلامية من مختلف الهيئات والحركات والشخصيات على أن تستطيع الدائرة الأولى أن تحرك الثانية بالاتجاه الذي تريد والمخطط الذي ترسم، ويبقى الحكم الديمقراطي هو المسيطر على ذهن هذه الكتلة. والكتلة الثانية ترى ضرورة بناء الفرد المسلم بناءً متيناً في الدائرة الأولى وترك المجال السياسي لمجموعة معينة تسير ضمن مخطط مرسوم.

هذه المنازعات وهذه الانقسامات إضافة إلى قضية جنوب السودان التي لم تحل بصورة نهائية أظهرت ضعف الحكم، فلا بد إذن من استبداله.

٤ ـ الحكم العسكري وحركة ٢٥ مايس ١٩٦٩ :

إن الحكم الضعيف لا يمكن أن ترضى عنه الدوائر الأجنبية حيث يمكن أن تتسلل إلى السلطة وتتسلمها إحدى الفئات غير المرغوب فيها، ويمكن تحديد هذه الفئات بالاخوان المسلمين والشيوعيين. ولما كانت كلتا الحركتين قوية فلا بد من الاستفادة من إحداها. والشيوعية أقرب إلى الرأسمالية أو إلى الاستعمار بآلاف المرات من أية حركة إسلامية حيث أن الشيوعية والرأسمالية مذهبان ماديان ينبعثان من مشكاة واحدة، وكلاهما عدو للإسلام. كما أن الشيوعية يمكن ادخال عناصر إلى صفوفها تحمل واجهة اشتراكية وتسير ضمن مخطط يخدم

مصالح الاستعمار، بينما لا يمكن ادخال هذه العناصر إلى الصفوف الاسلامية التي تلتزم بتطبيق قواعد معينة لا يمكن لأي فرد المواظبة عليها. وهذا ما لجأت إليه الدوائر المختصة.

قامت حركة ٢٥ مايس ١٩٦٩، بقيادة اللواء جعفر النميري وقد حملت هذه الحركة عنواناً اشتراكياً وتضم عناصر مختلفة منها أصحاب الاشتراكية المحلية ومنها الشيوعية ومنها المؤيدة من الحكومة المصرية (الناصرية).

بدأت الحركة بتطبيق الاشتراكية، وانقسمت البلاد إلى فئتين: أولاهما الحكومة وأنصارها. والثانية جبهة المقاومة الشعبية التي ضمت عناصر من حزب الاتحاد الوطني وحزب الأمة وجبهة الميثاق، وكونت لجنة تخطط لها وتتألف من:

١ ـ الشريف حسين الهندي رئيساً من الحزب الوطني الاتحادي

٢ ـ عمر نور الدين نائباً للرئيس من حزب الأمة

٣ ـ عثمان خالد مضوي عضواً من جبهة الميثاق

٤ ـ محمد صالح عمر عضواً من جبهة الميثاق

٥ ـ زين العابدين الركابي عضواً من جبهة الميثاق.

وابتدأ التدريب والعمل للإطاحة بالحكم، ولطبيعة الحياة القبلية في السودان فقد كان العمل مكشوفاً تقريباً. وطلب من الهادي المهدي دعم الحكومة فعرض شروطه للتعاون وهي:

١ ـ ابعاد الشيوعيين عن الحكم .
٢ ـ اطلاق سراح المعتقلين السياسيين .
٣ ـ تحديد فترة المرحلة الانتقالية لعودة الحياة الدستورية .

رفضت هذه الشروط وحدثت صدامات بين الطرفين كان منها دخول قوات الأمن إلى مسجد عبد الرحمن المهدي الذي يتجمع فيه الأنصار ، فقتل ثلاثون منهم ، بينما قتل ما يقرب من ١٠٠٠ شخص من الأنصار (جماعة المهدي) .

وتجمعت قوات من جبهة المقاومة الشعبية في جزيرة أبا[١] فداهمتهم قوات الحكومة بالمدفعية والمدرعات والطائرات بعد أن ادعى اللواء النميري أن محاولة جرت لاغتياله بسكين وذلك يوم ٢٧ آذار ١٩٧٠ ، فقتلت أعداداً كبيرة منهم وصلت بها بعض وكالات الأنباء إلى ٢٥ ألف قتيل . وقد قتل المهدي ، وأذيع ليلة ١ نيسان ١٩٧٠ أن المهدي قد قتل أثناء محاولته الهرب من البلاد عند الحدود الشرقية مع دولة الحبشة .

وأثر معركة أبا عمل الشيوعيون في الحكومة على جرها لتصفية جميع أعدائهم تصفية جسدية فعم القتل وساد البلاد جو من الرعب والذعر ، ظهر إثره أن الشعب قد استكان وأن الأمر قد استتب للحاكمين .

---

(١) جزيرة أبا : يملكها المهدي وتقع في النيل الأبيض ، وتبعد عن الخرطوم ما يقرب من ٤٠٠ كم جنوباً .

٥ ـ الانقلاب الشيوعي :

انقسم الشيوعيون إلى فريقين : أولهما بزعامة عبد الخالق محجوب أمين الحزب العام ويرى ضرورة النضال الحزبي بصورة متميزة لتطبيق الشيوعية واعلان إقامة حكم شيوعي . والفريق الآخر بزعامة أحمد سليمان وزير الصناعة والتعدين ، وفاروق أبو عيسى وزير الخارجية ومعاوية ابراهيم وزير العمل ، ويرى ضرورة ركوب الحكم القائم والاستفادة منه ريثما يتهيأ الجو المناسب . وتوسع الخلاف واستطاع أحمد سليمان أن يبعد أنصار محجوب عن مجلس قيادة الثورة حيث أبعد بابكر النور وفاروق حمد الله إلى لندن ، ونحي هاشم العطا من منصبه أما عبد الخالق محجوب فقد وضع تحت الإقامة الجبرية ثم اختفى وأخيراً دخل السجن .

ابتدأ هجوم النميري على الحزب الشيوعي المتميز في بيانه الذي ألقاه في ١٢ شباط ١٩٧١ ، وأنه لا مانع لديه من التعاون مع الشيوعيين الوطنيين بشرط خدمة البلاد تحت راية الحكم والاشتراكية والوطنية ، واتهم الجناح الشيوعي المعارض له بالعمالة والتبعية . فكان لا بد من الصدام .

كانت السودان قد عزمت على الدخول مع مصر وليبيا في اتحاد عربي ، ولكن الشيوعيين عارضوا هذا الاتحاد ، وخاف محجوب أن يعيد للحزب الشيوعي تجربته في مصر إضافة إلى أن

ليبيا تعارض الشيوعية صراحة وتحاربها لذا لا بد من الوقوف في وجه هذا الاتحاد ، ولما كان الحكم عازماً على ذلك فلا بد من حركة تحول دون ذلك .

كما أن الجنوبيين يعارضون هذا الاتحاد الذي يضيعون شخصيتهم فيه حسب رأيهم لذا شددوا من هجماتهم بغية شله وإزعاج الحكم وإظهار المعارضة له .

وفي ١٩ تموز ١٩٧١ تحركت بعض القطاعات وسيطرت على الوضع بقيادة الرائد هاشم العطا واعتقلت اللواء النميري ، ولكنها لم تستطع السيطرة لأكثر من ثلاثة أيام حيث قامت القطاعات الموالية للنميري ، ودعمها طلبة الكلية العسكرية المصريون في الخرطوم ، وقطاعات من مصر متمركزة في جنوبها ، كما أن وزير الدفاع في حكومة النميري اللواء خالد حسن عباس قد سحب بعض القوات السودانية المرابطة على حدود سيناء ضد إسرائيل ونقلت إلى السودان إضافة إلى الطيران المصري الذي اشترك في المعركة ، وكان قادة الانقلابيين في انكلترا قد اعتقلوا في ليبيا أثناء انتقالهم على طائرة بريطانية من لندن إلى الخرطوم حيث اجبرت الطائرة على الهبوط في بنغازي ، وسلموا إلى اللواء النميري وهم المقدم بابكر نور والرائد فاروق عثمان حمد الله

عاد النميري إلى الحكم ، وبدأ محاكمة الانقلابيين ، فأعدم

زعماءهم أمثال عبد الخالق محجوب أمين عام الحزب الشيوعي ، والرائد هاشم العطا مدبر الحركة ورأسها ، والمقدم بابكر نور رئيس مجلس قيادة الثورة ، وفاروق حمد الله ، والمقدم محجوب ابراهيم ، والنقيب بشير عبد الرزاق والملازم أحمد زيادة والدكتور مصطفى خوجلي المرشح لرئاسة الحكومة الانقلابية ، واستبدل حكمه بقضاء مدة ٢٠ عاماً في السجن ، والشفيع أحمد الشيخ أمين عام إتحاد نقابات العمال.

بدأ النميري هجومه على من وراء الحركة الانقلابية ، وقال ان الاتحاد السوفيتي وراء هذه الحركة ، وتأزم الموقف بين الدولتين ، وقطعت العلاقات بينهما ، كما قطعت مع العراق التي اعلنت تأييدها للحركة منذ ساعاتها الاولى ، وأرسلت وفداً على مستوى عال لتنسيق التعاون ولكن لم يستطع الوصول حيث احترقت الطائرة التي تقله الى الخرطوم واحترق معها اثناء رحلتها.

ويظن ان بريطانيا قد ساهمت في الحركة في بدايتها مؤيدة ، او انها استدرجت الانقلابيين للقيام بحركتهم فلما تم لهم الامر عملت على ضربها وقد كان لها دور في الاعلان عن انتقال قادتهم من لندن الى الخرطوم وهبوط الطائرة التي تقلهم في بنغازي.

٦ ـ عاد النميري الى الحكم في ٢٢ تموز ١٩٧١ ، ونسب كل ما حدث أثناء حكمه السابق من فوضى ، ومن تصرفات و

وانتقام الى الشيوعيين ، وأعلن عن قيام حكم وطني وجبهة وطنية في البلاد ، كما وعد بإنهاء مشكلة الجنوب وهي اكبر مشكلة واجهت الحكم منذ الاستقلال وكانت سببا رئيسيا في زوال كل الحكومات التي تعاقبت على البلاد .

كان النميري قد اعلن بعد حركة مايس مباشرة اعطاء الحكم الذاتي للجنوب وقام بتعيين (ابيل الير) احد زعماء الجنوب نائباً لرئيس الجمهورية كما انه دخل في المكتب السياسي للتنظيم السياسي الموجود في البلاد ، كما اعلن عن تعيين ثلاثة محافظين جدد لمديريات الجنوب من ابناء تلك المديريات ،ومثل الجنوب في الوزارة عدد من الوزراء ، واشترك عدد من الجنوبيين في السلك الدبلوماسي السوداني . وبدأ الاتصال بالدول المجاورة التي تعطف على الجنوبيين وبالدول الغربية ذات العلاقة وبمجلس الكنائس العالمي والارساليات التبشيرية التي لا يتم شيء بدونها . وأخيراً توالت الاتصالات التي انتهت باتفاقية اديس ابابا في آذار ١٩٧٢ .

وكان الجنوبيون قد تقدموا باقتراح تسع دول افريقية ليكون المؤتمر المقترح فيها وهي الكونغو (زائير) ، اوغندة ، كينيا ، الحبشة ، تانزانيا ، الكميرون ، ساحل العاج ، تشاد ، افريقية الوسطى . ومن المعلوم ان اغلب هذه الدول ذات نزعة انفصالية ومن اكبر اعداء الاسلام وقد ظهر موقف بعضها من

حكومة بيافرا الانفصالية في نيجيريا ، او في دول مجاورة لها علاقة مباشرة بالموضوع وهي :

١ ـ **تشاد** : وتشترك مع السودان في حدود طويلة من جهة الغرب ، وتسكن البلدين قبائل واحدة ، وتحكم تشاد اقلية نصرانية بينما معظم السكان من المسلمين ، وقد اشتركت القبائل المسلمة في عدد من الثورات ضد حكام تشاد ، وهذا ما جعل هؤلاء يتهمون السودان بمساعدة الثوار وتقديم يد العون لهم لذلك فان تشاد تتخذ من ارضها قواعد لتدريب الجنوبيين ومساعدتهم ، وتضغط الارساليات التبشيرية ذات النفوذ الكبير على حكام تشاد لتقديم المزيد من المساعدات لثوار الجنوب السوداني ، وكذلك اسرائيل التي لها نفوذ في تشاد فانها تفعل ذلك ضد حكومة السودان التي تضع عدداً من قطاعاتها على حدود اسرائيل بجانب القوات المصرية .

٢ ـ **اوغندة** :وكانت المركز الاساسي لثوار الجنوب وانتقالهم الى ارضها لسهولة الانتقال اولاً ولمركز الارساليات التبشيرية فيها ثانياً ، كما ان الحكومة الاوغندية كانت تسعى لضم الجنوب السوداني اليها ، وهذا ما كان من مخطط بريطانيا القديم كما رأينا ، وان الحكومات الموقتة التي قامت لهؤلاء الثوار كلها قامت على ارض اوغندة ، واستفادت اسرائيل من هذا حيث كان لها نفوذ قوي في اوغندة قبل تحول الرئيس عيدي امين

رئيس اوغندة الحالي وايام سلفه ميلتون اوبوتي ، وكانت اسرائيل تلقي بواسطة المظلات اسلحة وامدادات لمنظمة (اوينج كي بول) على الحدود السودانية الاوغندية ، وهذه المنظمة تتلقى معونات كبيرة من اسرائيل التي كانت تستعمل طائرات (د ـ ـ س ـ ٣) لهذا الغرض.

وعندما قام عيدي امين بانقلابه في اوغندة لم يتغير الوضع بالنسبة الى قاعدة الجنوبيين في اوغندة حيث ان عيدي امين كان قد تلقى تدريبه في اسرائيل رغم انه مسلم ، ولكنه جاهل بالاسلام ، فبقي على صلة حسنة باسرائيل ، وقام بزيارة لها ، كما تلقى مساعدات منها ، ولكن عندما قام بتأدية فريضة الحج في عام ١٩٧٢ ، وزار بعض البلاد العربية وخاصة ليبيا ، تغير شيء من تفكيره ، وهذا ما صرح به ، وذكر بأنه سيساعد العرب في قضيتهم الكبرى فلسطين مساعدة غير مشروطة وقام بطرد البعثات الاسرائيلية من اوغندة وكذلك المدربين ، وهذا ما جعل الوضع يتغير فيها ، وجعل الارساليات التبشيرية في وضع حرج مما جعل ضغطها يزداد لمساعدة ثوار الجنوب السوداني ، للحفاظ على قوتهم واستمرارهم ، كما انه ساعد في الاسراع لعقد مؤتمر اديس ابابا . وظهر اثر الكنائس العالمية اثناء محاكمة الضابط الالماني المرتزق الذي كانت تموله المصادر الكنسية العالمية شتاينر .

٣ ـ الحبشة: التي تعتبر من اكبر مراكز العداء للاسلام والمسلمين العالمية، وقاعدة لانطلاق الاستعمار، ومن هذا المنطلق فهي تساعد ثوار جنوب السودان ضد الشماليين، كما انها مركز للتبشير الذي له مراكزه في جنوب السودان، اضافة الى ان السودان كانت تساعد ثوار ارتيريا، فاتخذت الحبشة من مساعدة الجنوب ضغطا على الشمال لوقف مساعدة ارتيريا، وهذا ما حدث بالفعل حيث توقفت كل مساعدة للثورة الارتيرية بل ان الحدود السودانية كانت قد اغلقت في وجهها تماماً مما جعلها تأخذ طريقها نحو الضعف، وكانت عاصمة الحبشة اديس ابابا مركزاً لتسوية القضية الجنوبية.

وما يقال عن هذه الدول يقال عن زائير وجمهورية إفريقية الوسطى وكينيا وغيرها..

هذا بالإضافة إلى تدخل اسرائيل التي تنافس العرب في إفريقية، وتتخذ كل الوسائل التي تقربها من الحكام الافريقيين ومساعدة الثورات التي تقوم ضد بعض الدول العربية أو الاسلامية التي ترتبط بروابط مع الدول العربية. ثم هناك اتحاد الكنائس العالمية الذي يتبنى القضية تماماً، ثم هناك سوء المواصلات وكثرة المستنقعات والقتال داخل الغابات والبيئة التي لم يعتد الشماليون على القتال فيها.

كل هذه العوامل مجتمعة قد ضغطت على الشمال وجعلته

يقبل بالشروط التي يفرضها الجنوبيون. أما الجنوبيون فقد ثبت لديهم أن الانفصال مستحيل حيث المنطقة فقيرة ومعزولة في وسط إفريقية، وبعيدة عن كل صلة بالبحر الذي يسهل ارتباطها ببقية دول العالم، وأن الانضمام إلى احدى الدول المحيطة بهم أمر صعب، فقد كانت أوغنده هي الهدف الذي يسعى إليه، ولكنها أصبحت الآن لا تختلف كثيراً عن الشمال بعد تحول عيدي أمين الفكري والسياسي، كما أن انتشار الاسلام فيها وازدياده يجعل المستقبل غامضاً، بل من مصلحة التبشير والاستعمار فصل أوغنده عن المناطق المسلمة في الشمال بدولة وثنية يكون للتبشير فيها دوره الكبير وقاعدته الخطيرة.

كما أن العمل العسكري صعب لتفوق الشمال عددياً وثقافياً، إضافة إلى سوء المواصلات التي تعيق الحركة بالنسبة للقوات المقاتلة.

كما أن عدم اتفاق زعماء الجنوب على رأي واحد بالنسبة إلى المستقبل لعب دوراً، فقد كان ممثل جبهة الجنوب (اكري جادين) قد طالب باسم جبهته التي يتزعمها (أزبوني منديري) بالاستقلال للجنوب، وكلف (اميورو) الوزير في حكومة ابراهيم عبود العسكرية عام ١٩٦٤ بالعمل لذلك، أما (وليم دينج) ممثل حزب سانو فقد اقترح نظاماً اتحادياً يعطى الجنوب فيه صلاحيات واسعة.

هذه العوامل مجتمعة جعلت قادة الجنوب يتنازلون عن بعض الشروط التي كانوا في الماضي يصرون عليها ، وجعلتهم أكثر مرونة بحيث يرضون عن بعض شروط الشمال .

انعقد مؤتمر أديس أبابا ومثل الشمال فيه أبيل الير نائب رئيس الجمهورية وهو من مديريات الجنوب ويرافقه دافيد كول أحد قادة الجنوب ، وهذا التمثيل معناه موافقة الشمال على ما يمليه الجنوب حيث كان أهل الجنوب بيدهم الحل ويمثلون الطرفين المتنازعين ، ورئيس وفد الجنوب جوزيف لاجو قائد قوات الانيانيا ، وحضر المؤتمر ممثلون عن المنظمات الكنسية والمنظمات الدولية ومنظمة الوحدة الافريقية وبريطانيا وعدد من الدول الاسكندينافية والفاتيكان وهذه الجهات كانت من وراء المشكلة .

أعدت الحكومة السودانية مؤتمراً لإغاثة وتوطين الجنوب أثناء انعقاد المؤتمر . ورصدت المنظمة الدولية (اليونيسيف) ٣ ملايين دولار للمساهمة في المشروعات الصحية .

توصل المؤتمر إلى الاتفاق على قيام اتحاد بين الشمال والجنوب تقوم فيه الحكومة المركزية بكل شؤون الدفاع والخارجية والمالية والتعليم والمواصلات ، كما شمل اصدار قانون بالعفو العام عن الذين شاركوا في التمرد والعصيان ، وعملوا ضد السلطة .

وتم الاتفاق على الأمور التالية :

١ً ـ أن تكون اللغة الرسمية للبلاد هي اللغة العربية وأن تكون اللغة الانكليزية لغة رئيسية في الجنوب إلى جانب اللغة المحلية الأساسية التي تقضي الادارة بضرورة استعمالها .

٢ً ـ تصبح مديريات الجنوب اقليماً واحداً ، ويقصد بمديريات الجنوب مديريات أعالي النيل وبحر الغزال والاستوائية بحدودها التي كانت عليها عام ١٩٥٦ .

٣ً ـ تكون مدينة جوبا عاصمة الاقليم الجنوبي .

٤ً ـ يكون للاقليم الجنوبي مجلس تشريعي وآخر تنفيذي .

٥ً ـ تقدر القوات المسلحة في الجنوب بـ ١٢ ألف جندي نصفهم من الجنوبيين خلال خمس سنوات .

٦ً ـ يتم التوقيع النهائي على هذا الاتفاق يوم ٢٧ آذار ١٩٧٢ وهذا التأخير لإمكانية ابلاغ الأوامر إلى الثوار الجنوبيين حيث الظروف الطبيعية لا تسمح بالابلاغ السريع .

ويمكن أن نقول إن بريطانيا والمنظمات الكنسية الدولية كان يمكنها إبقاء مشكلة الجنوب قائمة تستفيد منها كلما وجدت مصلحة لها في إثارتها هذا لو كان سكان الجنوب من المسلمين حيث ترغب في اقتتال الطرفين ، كما هو الحال في شمال العراق ، أما في جنوب السودان فالدين مختلف ، وإقامة دولة في

الجنوب فيه مصلحة لاتحاد الكنائس العالمية والاستعمار حيث نتج عن انهاء المشكلة :

١ ـ وقف قتل الجنوبيين ، وتوطينهم واعادتهم إلى ديارهم .

٢ ـ استمرار عمل التبشير بشكل جيد ومنظم بعدما ضعف أثناء تأزم المشكلة .

٣ ـ اضعاف قوة السودان بعد تجزئته .

٤ ـ الفصل بين مسلمي أوغنده وشمال السودان بدولة مصطنعة يحتضنها التبشير والاستعمار .

٥ ـ انهاء مشكلة أرتيريا بالضغط على السودان فيما إذا فكر بمساعدة الأرتيريين ، وحصرها بقطع كل طرق المساعدة .

٦ ـ إضعاف مصادر الثورة في تشاد التي تكررت ثلاث مرات خلال ستة أعوام ، وقادة الثورة وأبطالها من المسلمين الذين تربطهم بالسودان وليبيا أقوى الأواصر من دينية وجنسية وقبلية .

وقد عارضت الجبهة الوطنية السودانية هذا الاتفاق ، ووزعت بياناً في ذلك حمل تواقيع الشريف حسين الهندي[1] وهو رئيس الجبهة ومن أعضاء الحزب الوطني الاتحادي وعمر نور

---

(١) الشريف حسن الهندي كان وزيراً للمالية في حكومة محمد أحمد محجوب التي قامت الحركة ضدها في ٢٥ مايس ١٩٦٩ .

الدين أحد أعضاء الجبهة ويمثل حزب الأمة ،وعثمان خالد مضوي أحد أعضاء الجبهة ويمثل جبهة الميثاق الاسلامي ، وقالت الجبهة في بيانها إن هذا الاتفاق سيؤدي حتماً إلى الانفصال التام خاصة وأن مديريات الجنوب قد أصبحت اقليماً واحداً[1]

ويمكن أن نلحظ حقيقة هذا الاتفاق ، وما سيؤول إليه الوضع في السودان بعد فترة من رأي الجنوبيين على لسان رئيس وفدهم إلى مؤتمر أديس أبابا قائد قوات الأنيانيا اللواء جوزيف لاجو[2] الذي منح هذه الرتبة بعد المؤتمر من رئيس الجمهورية

---

(١) أثناء انعقاد مؤتمر المائدة المستديرة حدث خلاف حول تقسيم السودان إلى آقاليم ،ورفض الشمال دمج المديريات الثلاث في أقليم واحد.

(٢) جوزيف لاجو: ولد في قرية جولي من قرى مدينة جوبا في امديرية الاستوائية عام ١٩٣١ ، وينتمي لقبيلة المندي ، ودرس في المدارس التبشيرية التي تتبع الكنيسة الأنجيلية الانكلبرية ، والتحق في الخرطوم بالكلية العسكرية عام ١٩٥٨ ، وتخرج منها في مايس ١٩٦٠ ، وقد وقع عليه الاختيار للتدريب في بريطانيا عم ١٩٦٣ فذهب إلى قريته ليودع أهله من أجل السفر . وهناك غير طريقه فعبر الحدود إلى أوغنده والتحق بحركة جنوب السودان ، وانضم إلى حزب سانو وفي عام ١٩٦٤ حدث تغيير في قيادة الحزب استلم على أثره اكري جادين رئاسة الحزب من جوزيف اودوهو فعين جوزيف لاجو رئيساً للجناح العسكري (الانيانيا). وفي عام ١٩٦٦ حدث انسجام بين المنقسمين تحت اسم جديد هو (ازانيا) فعاد لاجو إلى عمله العسكري من جديد . وفي عام ١٩٦٨ أقام اكري جادين حكومة موقتة كان لاجو رئيساً لأركانها ، كما طلب منه غوردن =

السوداني اللواء جعفر النميري وذلك من خلال رده على أسئلة مجلة المصور المصرية في عددها ٢٤٨٨ تاريخ ١٦ حزيران ١٩٧٢ .

س : ما هو حجم المساعدات التي قدمتها لك اسرائيل؟
ج : ليست كثيرة .
س : كم عدد رجالك الذين تدربوا على السلاح في اسرائيل؟
ج : ليس كثيراً أيضاً ، فقد كنت أفضل تدريبهم في الغابة .
س : ما هي البلاد التي كانت تدعمكم؟
ج : لا أستطيع الاجابة عن هذا السؤال .
س : ألا تعتقد أن العدوان واحتلال اسرائيل لأراضي احدى الدول الافريقية بالقوة وهي مصر ، قضية تستحق أن تقاتل من أجلها؟
ج : لا أريد لأحد أن يحتل أراضي الآخرين .

وإن كانت هذه الاجابة فيها كثير من التحفظ السياسي إلا أنها تدل على علاقة اسرائيل بالموضوع ، وعدم وجود أية روابط مع مصر احدى دول وادي النيل الرئيسية ، والدولة العربية الشقيقة الكبرى للسودان .

وبعد اتفاقية أديس أبابا فتحت الحدود بين أوغنده

مارتان رئيس حكومة النيل الموقتة استلام رئاسة أركان حكومته لكنه رفض ، وبقي يعمل لوحده في منظمة الانيانيا حتى مؤتمر أديس أبابا .

والسودان في ١١ مايس ١٩٧٢ بعد أن أغلقت لمدة ثلاثة أعوام كاملة من قبل أوغنده بحجة أن القوات السودانية كانت تلاحق مجموعات من المتمردين في داخل أراضيها .

ثم قام الرئيس جعفر النميري بزيارة إلى السعودية ودول الخليج ، وعندما عاد إلى بلاده بدأ بالعمل لمصالحة وطنية بينه وبين الجماعات التي نزلت بها الضربة القوية في جزيرة أبا وتضم المهديين وحزب الأمة وجماعة الميثاق الاسلامي . وقد سمح للصادق المهدي رئيس حزب الأمة وأحد رؤساء الوزارة السابقين أن يعود إلى الخرطوم بعد أن عاش في القاهرة مدة عامين .

ولا يزال العداء قائماً بين السودان والمعسكر الشيوعي منذ قيام الانقلاب في ١٩ تموز ١٩٧١ ، وبالوقت نفسه هناك فتور في العلاقات بين مصر والسودان رغم أن مصر كان لها اليد الطولى في إعادة النميري إلى الحكم في ٢٢ تموز ١٩٧١ م[١] . فقد حل النميري المنظمات الناصرية في السودان وأغلق مكاتبها ، في حين تتوطد العلاقة بينه وبين معمر القذافي قائد الثورة الليبية[٢] ، ومع عيدي أمين رئيس أوغنده[٣] .

(١) يبدو أن تقارباً قد بدأ يحدث بين مصر والسودان خاصة بعد حرب رمضان - تشرين أول ١٩٧٣ - .

(٢) يبدو أن الوضع قد تغير وحدث تباعد بين النميري والقذافي .

(٣) قام الرئيس عيدي أمين بزيارة للسودان ، وأعلن خلال تلك الزيارة عن

وأخيراً نرجو للسودان أن يلتئم أبناؤه في كتلة واحدة تعمل لتطبيق النظام الاسلامي بعد أن لاقى الشعب المر من تطبيق القوانين الوضعية وسيطرة الجاهلية ، وبعد أن شعر بوحشية الملحدين وحقدهم ومحاولة تصفيتهم الجسدية لأكثرية الشعب المؤمن رغم أن سيطرتهم لم تدم أكثر من ثلاثة أيام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عقد معاهدة دفاع مشترك بين السودان وأوغنده تخف بموجبها كل دولة إلى مساعدة الأخرى في حالة تعرضها لعدوان .

الفهرس